نصان يهوديان
حول بدايات الإسلام

إعداد نبيل فيّاض
لبنان - ١٩٩٨

أشكر السيدة باتريشيا كرونه على كل ما قدمته لنا من نصوص قيمة حول الإسلام الأولي

نبيل فياض



مقدّمــة

لاشكّ أنّ التعامل مع التقاليد الإسلامية التي تتناول بدايات الإسلام يتطلّب الكثير من الدقة والارتياب؛ وهذا الأمر لا ينطبق على الإسلام على نحو محدّد، بل يمكن تمديده ليطال كلّ الأديان والعقائد وربما التيارات الفكرية، عالمية كانت أم محلية. بالنسبة للواقعة ذات السمات الدينية، يلعب الخلط بين ما هو « ديني - ميثولوجي - غيبي » وما هو « دنيوي - تاريخي - واقعي » الدور الأبرز في تشويش الصورة الفعلية للواقعة. ومن الدراسات اليهودية، على سبيل المثال، نعرف أنّه حتى الآن لم يجرِ تنقية هذه الصورة بحيث يمكن تبيان المعالم بوضوح تام. والحقيقة أنّ الباحثين اليهود عموماً، رغم « علمانيتهم » التي لا لبس فيها غالباً، لم يستطيعوا التخلّص - للأسف - من البذرة « الغيبية - الميثولوجية » التي تأخذ في أحيان كثيرة دور المرشد والدليل في توجيه مسارات بحوث يفترض أنها علمانية بالكامل. من ناحية أخرى، فالمسيحية، رغم علمانيتها البحثية المشهودة خاصة في الأزمنة الأخيرة، ما تزال تحاول عبثاً التخلّص من نير السيطرة الماورائية على اكتشافاتها الدنيوية؛ بل ما تزال تحاول حتى الآن قسر النصوص المقدّسة السابقة لها لخدمة التوجهات العقائدية الخاصة بها - فالعهد القديم، على سبيل المثال، يطوّع، بغير وجه حق علمي، لجعله بشيراً أو نذيراً بالمسيح، رغم أن الحقيقة التاريخية للشخصية الأخيرة ما تزال محطّ جدل بين الباحثين اللادينيين.

تاريخية التقاليد الإسلامية تثير في وجه الباحث التاريخي ما لا طاقة له على تحمله من المشاكل؛ مهما كانت قدراته وعلومه ومواهبه. مع ذلك، فإنّ مقارنة عقائدية تاريخية سريعة يمكن أن تظهر أنّ المشاكل عند الطرف الإسلامي أقلّ منها عند الطرفين اليهودي والمسيحي - على سبيل المثال - أقلّها أنّ الجدل البحثي مستقر على الحقيقة التاريخية لوجود محمّد، نبيّ الإسلام، في القرنين السادس والسابع في غرب شبه جزيرة العرب؛ في حين أنّ التفاصيل التاريخية لوجود موسى محطّ شكّ - وربما رفض - كبير في الحقبة الأخيرة، وكذلك أيضاً يسوع: وإن بحدّة أقلّ من موسى.

مشكلة التاريخ الإسلامي البدئي هي التدوين. فقد كان التناقل الشفوي هو المسيطر على نقل الحدث أو النصّ في الحقبة الأولى. وحتى القرآن، فنحن لا نمتلك دليلاً مقبولاً حول وجوده بأيّ شكل قبل العقد الأخير من القرن السابع. وربما أنّ ما يدّعى على أنهّ روايات لحوادث تاريخية من القرن السابع لا يفيد إلا في دراسة الأفكار الدينية في القرن الثامن. لكن « القرن الثامن » هذا، ينبئنا بصريح العبارة أنّه كان حقبة ترسّخ فيها تشظّي « أمة الإسلام » إلى فرق وأحزاب متطاحنة متناحرة، يسعى فيها كلّ طرف إلى دعم مزاعمه بترسانات لاهوتية من أحجار عقائدية وتاريخية تُنسب إلى النبيّ ذاته أحياناً وإلى المقرّبين إليه من الصحابة أحياناً. لذلك، إذا ما أخذنا التراث الإسلامي ككلّ، خاصة

ما يتعلق منه ببدايات الإسلام، فسوف نجد الخبر ونقيضه؛ روايات متباينة - وربما متعارضة - للحدث الواحد؛ إختلافات صارخة حول قيمة هذه الشخصية أو تلك؛ إختلاقاً لشخوص وحوادث لم يكن لها وجود قط، تدعم التوجه العقائدي للتيار المُخْتَلق؛ وإخفاءً لأمور مفصلية لا تتناسب مع ميول الكاتب وأهوائه.

إنّ تضافر روايات الحدث داخلياً وخارجياً يدعم الحقيقة التاريخية لهذا الحدث. فعلى سبيل المثال، إنّ إشارة المصادر الخارجية - غير « العربية - الإسلامية » - إلى حدث ظهور نبي في غرب شبه جزيرة العرب اسمه محمّد (وإن اختلفت التسميات) يدعم بقوة الحقيقة التاريخية لهذا الحدث الذي تشير إليه المصادر الداخلية - أي، « العربية - الإسلامية ». وهذا ينطبق أيضاً على الكثير من الأحداث المفصلية في التاريخ العربي - الإسلامي.

لقد كتب كثيرون، من غير المسلمين، حول بدايات الإسلام، في تلك البدايات بالذات: كتب الأرمن، الآشوريون، السريان، الموارنة واليهود. وللأسف الشديد، لم نرّ قط عند الباحثين التاريخيين المعاصرين العرب أدنى إشارة إلى تلك النصوص القديمة التي تناولها الكثير من الباحثين التاريخيين في الغرب بالفحص والتمحيص. والأرجح أنّهم لا يعرفونها، أو لم يسمعوا بها.

ضمن « سلسلة النصوص النادرة » هذه، يبدو من المعقول أن نقدّم بعض تلك النصوص التاريخية القديمة - وربما نقدّمها كلّها - علّها تساعد الباحثين التاريخيين والدينيين المحليين على فهم أفضل للنصوص الداخلية التي بين أيديهم. ونستهل ذلك بتقديم نصين يهوديين حول بدايات الإسلام، نعتقد أنّ لهما أهمية استثنائية. النصان هما: « *صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي* » وقصيدة « *في ذلك اليوم* ». وهما منشوران، على الترتيب، في: *Bulletin of School of Oriental and African Studies*، جامعة لندن، المجلد ١٣، الجزء الثاني، ١٩٥٠، صص ٣٠٨ - ٣٣٨، نشر مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية؛ وفي[-] *Mélanges d'islamologie*، عدد مهدى لذكرى أرمان أبيل، تحرير بيير سالمون، لايدن ١٩٧٤، صص ١٩٧ - ٢٠٠. والنصّان ترجمهما وعلّق عليهما الباحث برنارد لويس.

نبيل فياض
١٩٩٧/١١/٢٨

[-] النص العبري لـ*في ذلك اليوم*، موجود في:

L. Ginzberg, *Geniza Studies in memory of Doctor Solomon Schechter*, vol. I, N.Y 1928 , pp. 310 - 312 .

ملاحظة:

حاخام شمعون بار يوحاي هو تانا من منتصف القرن الثاني، يدعى في الأدب التلمودي ح. شمعون دون أي شيء آخر. يُذكر في مواضع مختلفة. في المدراش الهالاخي، استخدم الطريقة الخاصة بعقيبا، وباستخدامه لهذه الطريقة حرّر مجموعة مدراشيم هالاخية على *الخروج* والتي تعزا إليه وتحمل عنوان *مخلتو* د' ح. *شمعون بار يوحاي*، ما تزال بقايا منها موجودة حتى الآن. إليه تعزو التقاليد *زوهار*، وهو بالتالي شخصية مركزية في الأدب القبالي.

رؤيا أبوكاليبتية للتاريخ الإسلامي

بقلم: برنارد لويس

خلال قرون الحكم الإسلامي الأربعة الأولى، سرت بقوة الآمال المسيانية بين شعوب الخلافة. فالمسيحيون، اليهود، والزرادشتيون، الخاضعون لحكم ديانة جديدة وغريبة عليهم، تعلقوا بتقاليدهم المتعلقة بمسيا أو ساوشيانت Saoshyant وزينوها: مسيّا من نسب مختار إلهياً، والذي يأتي أو يعود في زمن الله إلى العالم، ينهي عذابات المؤمنين وسيطرة ظالميهم، ويؤسّس ملكوت الله على الأرض. ولم يمضِ وقت طويل حتى تأثر بذلك الإسلام ذاته. بداية في هرطقات الذين اعتنقوا الدين حديثاً، والذين لم يكونوا راضين بالمكانة المعطاة لهم في ما كان قد ظلّ مملكة عربية، والذين طعّموا الدين الجديد باعتقاداتهم القديمة؛ ومن ثم في أرثوذكسية كلّ الإسلام، حيث برز الاعتقاد بالمهدي، والذي هو، بكلمات التقليد، سوف « يملأ الأرض عدلاً ومساواة بعدما ملئت ظلماً وجورا ».

مع زوال الإمبراطوريات وازدهار الآمال المتعاقبة وخيبة أملها، نما التقليد المتعلق بالقادم وتطوّر. وراح ظالم بعد الآخر يضيف شيئاً من ذاته إلى صور المسيح الدجّال، في حين كان العديد من المسحاء الكاذبين، بسبب فشلهم، يضيفون تفاصيل جديدة وعلامات جديدة إلى المسيا الذي لم يأت بعد. كان لكلّ مجموعة تقاليدها الخاصة؛ مع ذلك فهم لم يكونوا منفصلين بأية حال، فالعديد من الأفكار والاعتقادات عبرت، عبر الذين كانوا يبدّلون ديانتهم وعبر قنوات أخرى، من ديانة إلى أخرى.

كان اليهود حتماً هم الأقل صبراً في انتظارهم للخلاص. فكلّما بدا تقوّض الإمبراطوريات تحت وطأة الثورات الداخلية والغزوات الخارجية وكأنه ينذر بالنهاية التي انتُظرت طويلاً، كانت عيون اليهود القلقة تتطلع إلى زمن الإضطرابات الذي كانوا يعيشون فيه كعلامة على قدوم المسيّا، وتحاول أن تجد، في الأحداث التي تدور حولهم، النبوءات والتقاليد الغامضة التي وصلت إليهم حول حروب المسيّا الأخيرة. في تلك الأزمنة كُتبت الأسفار الأبوكاليبتية. كان لمؤلفيها أهداف عديدة - مواساة المضطهدين بآمال النصر القريب، تبرير طرق الله للبشر بإظهار أن معاناتهم لم تكن اعتباطية بل جزء من مخطط مرسوم إلهياً لأشياء تتأوج في تأسيس إرادة الله على الأرض، وغالباً ما تكون، إضافة إلى ما سبق، دعم مزاعم مدعٍ فعلي للوظيفة المسيانية. عادة ما تكون طريقتهم هي ذاتها: كانوا يأخذون أو يتبنون كتابات أبوكاليبتية اكثر قدماً ذات أصل متشابه، يضيفون إليها رواية لأحداث زمنهم، ليس كقصة تاريخية صرفة، بل على الأرجح كإعادة تحرير لنبوءاتهم وتقاليدهم القديمة المدققة والموسّعة بحيث تناسب هذه الأحداث، ومن ثم يقدّمون بطريقة محببة الأسطورة المتنامية للكفاح والنصر الأخيرين. كان كلّ شيء يسكب في قالب نبوءات ويعزا إلى إحدى الشخصيات العظيمة من الماضي: إلى دانيال أو إيليا، إلى أخنوخ [ادريس] أو موسى، إلى زربابل أو الحاخام شمعون بن يوحاي.

إلى الشخص المذكور أخيراً، وهو واحد من أعظم الحاخامين في القرن الميلادي الثاني، تعزا واحدة من أهم الأبوكاليبتات اليهودية. نُشرت « *صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي* » للمرّة الأولى على يد أدولف يلنك Adolph Jellinek عام ١٨٥٥، من مخطوطة نادرة كان يمتلكها ماركو مورتارا Marco Mortara، كبير الحاخامين في مانتوا Mantua[١]. وبدا وكأنها تعتمد جزئياً على عمل أقدم من نمط مشابه يحمل عنوان « *أسرار الحاخام شمعون بن يوحاي* » . كان «*الأسرار*» قد نُشِر للمرة الأولى ضمن مختارات سالونيك عام ١٧٤٣، ثم أعاد يلنك طباعته[٢] بعد ذلك. لقد عزا يلنك العمل إلى الحقبة الصليبية، لكن المؤرخ هاينريش غريتس Heinrich Graetz[٣]، عن طريق فحص دقيق، كان قادراً على أن يُظهر أن الأحداث والحكّام المُشار إليهم في النص إنما يرجعون إلى الخلافة الراشدية وخلافة بني أميّة، وأنّ العمل، باستثناء مقطع مضاف من تاريخ أكثر تأخراً، كُتب أثناء الصراع الذي أنهى الخلافة الأموية. ورغم اعتراضات شتاينشنايدر Steinschneider[4]، الذي ما يزال يفضّل الهوية الصليبية، قُبِلَ هذا الرأي عموماً. يمكن أن نجد نسخة أخرى من « *الأسرار* » أيضاً في المدراش الذي يدعى *الملوك العشرة*، الذي نشره هورفيتس Horovitz[٥]. و*الملوك العشرة* هذا يتضمّن مقطعاً يبدأ كما يلي: « هذه هي الأمور المستقبلية التي كُشِفَت للحاخام شمعون بن يوحاي » ويتوافق على نحو واسع، رغم بعض الفروقات الهامّة، مع محتويات « *الأسرار* ». أما زعم هورفيتس بأنّ نسخته أقدم من نسخة *الأسرار* فيصعب القبول به، حيث أنّها تتضمن إشارات إلى أحداث بعد التاريخ المرجّح لذلك العمل. من ناحية أخرى، *فالملوك العشرة* يتضمّن تفاصيل هامّة غير موجودة في نص *الأسرار*، وربما أنه يعتمد على نسخة أخرى أكثر قدماً، لم تعد موجودة. وربما أن نسخة كهذه هي التي شكّلت نقطة الانطلاق لمؤلّف « *الصلاة* ».

---

(١) آز يلنك، *بيت ها-مدراش*، لايبتسغ، ١٨٥٥، المجلد ٤، صص viii - ix و١١٧ - ١٢٦. أعيدت طباعته في القدس، ١٩٣٨. أعاد ي. كاوفمان J. Kaufmann تحرير النص وأضاف إليه مقدّمة وحواش ونشره في تل أبيب عام ١٩٤٣، تحت عنوان مدرشه غئولا، صص ٢٥٤ - ٢٨٦ و٤١١ - ٤١٤. يحتوي تحرير د. كاوفمان اقتراحات قيمة هامة، لكن قيمته تُختَزل بسبب تنقيحاته العديدة والتي غالباً ما تكون بلا معنى.

(٢) يلنك، بيت *ها-مدراش*، الجزء الثالث، صص xix و٧٨ - ٨٢. نشر س. فرتهايمر S. Wertheimer كسرة من *الغنيزا* تحتوي نسخة مختلفة من الفقرات الافتتاحية «*للأسرار* » تحت عنوان «yajwy @b @w[m` r qrp» [« فصل الحاخام شمعون بن يوحاي »] في *باته مدراشوت*، القدس، ١٨٩٤، المجلّد الثاني، صص ٢٥ - ٢٦. هنالك أيضاً نسخة من هذا العمل في مخطوطة عبرية في ميونيخ تحمل الرقم ٢٢٢، 107v - 111v، تتضمن اختلافاً وحيداً هاماً وعدة اختلافات بسيطة عن نص سالونيك. بالمناسبة أشكر د. آ. شبتلر Dr. A. Spitaler على إرساله صورة عن المخطوطة إلي.

(٣) *تاريخ اليهود Geschichte der Juden*، المجلّد الخامس، الملاحظة ١٦، صص ٤٤١ - ٤٤٩.

(٤) « *أبوكاليبتات ذات ميل جدلي Apocalypsen mit polemischer Tendenz* »، ZDMG، xxviii، ١٨٧٤ - صص ٦٢٧ - ٦٥٩، وxxix، ١٨٧٥، صص ١٦٢ - ١٦٥. وبشكل خاص صص ٦٣٥ وما بعد.

(٥) *بيت اقيد ها - أغادوت*، تحرير ه. م. هورفيتس، ١٨٩١، I، صص ١٦ - ٣٢. أعاد كاوفمان طباعة نص يلنك *للأسرار* والمقطع المشابه في نص هورفيتس، صص ٤٠١ - ٤٠٥. من الأفضل أن نترك جانباً محاولة د. كاوفمان غير الموفقة (صص ١٦٢ - ١٩٨) لإعادة بناء النص الأصلي من النسختين المختلفتين.

حتى الآن لم يُثَر أي جدل جدي بشأن تاريخ « *الصلاة* ». يلنك يعزوه إلى الحقبة الصليبية، ويجد فيه « إشارات واضحة وصريحة إلى الحروب الصليبية[٦] ». أمّا غريتس[٧]، فبناءً على مقطع يزعم أنّه يجد فيه دلائل على المغول، فينسبه بالتالي إلى القرن الثالث عشر. وهو يفسّر وجود هذا المقطع في « *الأسرار* » الأكثر قدماً على أنه إقحام من النص اللاحق - أي، من « *الصلاة* » ذاته. ورغم أنّه هذا التفسير لم يُقبَل من قبل الكتاب اللاحقين، فقد سلّم معظمهم بأن المقطع موضع التساؤل كان قد أضيف فعلاً. يعتبر بوتنفيسر Buttenwieser[٨] أن إرجاع تاريخ النص إلى الحقبة الصليبية هو فوق التساؤل. أما باير Baer[٩]، والذي لحقه كاوفمان[١٠]، فيعيد الأبوكاليبس على نحو أكثر تحديداً إلى زمن الحملة الصليبية الثالثة، ويحاول أن يصل إلى تحديد تفصيلي للأحداث التي يشير إليها.

كلّ وجهات النظر هذه تعتمد على افتراض مفاده أنّ المادة التاريخية في « *الصلاة* » برمتها التي تعقب المقاطع الموجودة ايضاً في « *الأسرار* » إنما تعود إلى مؤلف واحد، وتشير إلى أحداث زمنه. وقد عزا بعضهم، كما رأينا، جزءاً من « *الأسرار* » إلى مؤلّف «*الصلاة*». وفي التعليق الذي سيأتي لاحقاً، آمل أن أظهر أن ذلك خطأ، وأن « *الصلاة* » مكوّن من المقاطع التالية:

١ - إعادة تحرير للمادة الموجودة في أبوكاليبس شمعون بن يوحاي الأكثر قدماً. ولا يبدو أنها تعتمد على نحو مباشر على أيّ من النسخ التي بين أيدينا، إن في « *الأسرار* » أو في « *الملوك العشرة*». لكن ربما أنها مأخوذة عن تحرير مفقود، أقرب إلى «*الأسرار*» منه إلى « *الملوك العشرة* ». وفي هذه المادة قام مؤلفنا بعدد من التبديلات. وفي حين أن بعضاً من هذه التبديلات ربما يرجع إلى تحريرات أقدم، مفقودة، فإنّ بعضها الآخر هو حتماً من عمل المؤلّف الأخير « *للصلاة* ». وهذه التبديلات هي من ثلاثة أنماط رئيسة:

آ - أدبية - تحسين التقديم، إضافة مادة أسطورية من مصادر أخرى، الخ.

ب - حذف مقاطع بعينها لم تعد أهميتها التاريخية مفهومة بوضوح.

ج - إضافة تلميحات إلى زمن المؤلّف الأخير.

أما مادة القسم الأول فمكوّنة على النحو التالي:

- مقدمة الرؤيا وإطارها. وهذا مرتبط على نحو وثيق بنسخة «*الأسرار*»، لكن مع إضافات معتبرة.
- رؤيا أبوكاليبتية عن ظهور الإسلام والخلافة حتى سقوط الأمويين. وهذا الجزء مرتبط بنسختي « *الأسرار* » و « *الملوك العشرة*» . في الزمن الذي شهد تدوين «

(٦) *B. M.* vv, p. viii.

(٧) *Geschichte*, vii, note7, pp. 449 - 451 .

(٨) *الموسوعة اليهودية* *Jewish Encyclopaedia*، المجلد الأول « أبوكاليبتات: الأدب الأبوكاليبتي العبراني - المحدث Apocalypses: Neo-Hebraic Apcalyptic Literature »، ص ٦٨٤.

(٩) نبوءة مسيانية يهودية من العام ١١٨٦ والحرب الصليبية الثالثة «Eine jüdische Messiaprophetie auf Jahr 1186 und der dritte Kreuzzug » *MGMJ*، LXX، ١٩٢٦، صص ١١٣ - ١٢٢ و ١٥٥ - ١٦٥. أنظر بشكل خاص صص ١٦٢ - ١٦٥.

(١٠) *النص السابق*، صص ١٦٢ - ١٧٤.

الصلاة » كانت هذه الأحداث قد عبرت منذ زمن طويل وتذكرها لم يكن كاملاً، وهكذا فنسخة « *الصلاة* » تحتوي حذوفات هامة. مع ذلك، يمكن إعادة بنائها بمساعدة النسختين الأقدم منها. لقد كتبت هذه الأبوكاليبس خلال موجة من الآمال المسيانية المرتبطة بسقوط السلالة الأموية. وكما يقترح كاوفمان[١١]، فمن المحتمل تماماً أن هذه النسخة ذاتها ليست رؤيا واحدة، بل تضم كسرات من أبوكاليبس أقدم منها، تعود إلى زمن الغزوات الإسلامية.

--- رؤيا أبوكاليبتية حول ظهور العباسيين وحكم كلّ من السفاح والمنصور. ويمكن أن نجد نسخاً عن هذه الرؤيا في «*الأسرار*» و « *الملوك العشرة*». وقد كان غريتس على حق في مجادلته بأن هذا الجزء من أصل مختلف وقد أضيف إلى المادّة السابقة، لكنه أخطأ في نسبها إلى القرن الثالث عشر. لقد كتب أثناء حكم المنصور، وكان نتيجة الآمال المسيانية في ذلك الوقت، وربما أنه يتعلّق بالثورة الشيعية التي قادها محمد النفس الزكية.

٢ - نسخة أبوكاليبس ذات أصل سوري أو فلسطيني، تعتمد على حوادث الأعوام ٩٦٩ - ٩٧٦ - أي، الغزو الفاطمي لمصر، الغارات القرمطية في سوريا، فلسطين، ومصر، مجيء ألب تكين وأتباعه من الأتراك، والغزو البيزنطي لسوريا تحت قيادة يوحنا شمشقيق John Tzimisces. وربما أنها كُتبت قبل هزيمة ألب تكين عام ٩٧٨. ورغم أنني لا أعرف أبوكاليبس سابقة من هذا النوع، فإنه يمكن أن نجد اصداءها في « *الملوك العشرة* » وفي أعمال أخرى.

٣ - إضافات كاتب « *الصلاة* » الأخير والتي تصف وصول الحملة الصليبية الأولى إلى فلسطين، وهو حدث قد يكون شهده بنفسه.

٤ - تتطوّر عن هذا، خاصية الرؤيا - حروب روما، اسمعيل، اسرائيل، المسيح الدجال، والأمور الباقية، لتنتهي بانتصار المسيا.

تعتمد الترجمة التالية على نص يلنك. وحيثما أتبنى إصلاحاً للنص أشير إليه في الحواشي. في بعض الحالات كان ممكناً تصحيح النص بالرجوع إلى « *الأسرار* ». وقد استخدمت نسخة منقحة لأجل كل الشواهد الكتابية، وأيضاً لأجل التلميحات الكتابية وقد عملت ما بوسعي أن لا أؤذي المعنى.

تقسيم الأقسام والمقاطع مضاف، باستثناء حين تتم الإشارة إلى ذلك.

---

(١١) *المصدر السابق.*

النص الأول

صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي

I

هذه هي الأشياء السرية والموحاة التي كشف عنها للحاخام شمعون.

....

هذا هو حاخام شمعون الذي كان مختبئاً[١٢] في أحد الكهوف قبل هذا من الإمبراطور. لقد صام أربعين يوماً وليلة وصلّى لله. هكذا كان يقول في صلاته: مبارك أنت، يا الله، ياإلهنا وإله آبائنا، إله ابراهيم، إله اسحق، وإله يعقوب، الإله العظيم، القوي والمخيف، سيّد السماء والأرض الرحيم، الحي والباقي إلى أبد الآبدين وإلى الأزل؛ أنت ممجّد، محمود، معبود، معظّم، وأوحد؛ أنت ملك الملوك وربّ الأرباب، الأحد، الذي اسمه فيك والذي هو في اسمك، أنت مخفي عن عيون كل الأحياء واسمك مخفي، أنت أعجوبة واسمك أعجوبة، أنت واحد واسمك واحد . أنت « الذي اخترت أبرام [ابراهيم] وأخرجته من أور الكلدانيين » (نح ٩:٧)، وجعلته يعرف ألم العبودية للمالك التي كانت ستستعبد أولاده[١٣] . وأنا أسألك الآن، أيها الرب الإله، أن تفتح لي بوابات الصلاة وترسل لي المَلَك كي يخبرني، متى سيأتي المسيّا، ابن داود، وكيف سيجمع المشتتين من إسرائيل من كلّ المواضع التي تبعثروا فيها، وكم حرب سيخوضون بعد هذا التجمّع؟ - بحيث يوَضّح لي الأمر، بنعمة الرب الإله، و« إلى متى نهاية الغرائب؟ » (دا ١٢:٦).

قال حاخام شمعون: وللحال فُتحت لي بوابات السماء ورأيت رؤى لله[١٤]. فوقعت على وجهي، وقال لي صوت: « شمعون، شمعون! ». ثم أجبت ذلك الذي كلّمني، وقلت: « ماذا تقول، يا ربّ؟ ». قال لي: « إنهض »، وحين كلّمني وقفت مرتعشاً[١٥]، وسألته: « ما اسمك؟ » قال: « لماذا تسأل عن اسمي، وأنت ترى أنه

---

(١٢) `wbj [مسجون]. قرأتها ywbj[مخفي]، كما في كل النسخ الأخرى.

(١٣) قارن (تك ١٣:١٥): « فقال الرب لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكونون نزلاء في أرض ليست لهم، ويستعبدونهم ويذلونه أربع مئة سنة »- ملاحظة للمترجم العربي.

(١٤) قارن (حز ١:١): « انفتحت السموات، فرأيت رؤى إلهية» - ملاحظة للمترجم العربي.

(١٥) قارن: (دا ١٠: ١١): « وقال لي: « يا دانيال، أيها الرجل العزيز على الله، افهم الأقوال التي أنا أكلّمك بها، وانتصب حيث أنت واقف، فإنّي الآن أرسلت إليك ». فعندما كلمني بهذا الكلام، انتصبت مرتعداً »-ملاحظة للمترجم العربي.

سرّ »[١٦]. سألته: « متى سيأتي مخلّص إسرائيل؟ ». قال: « نظر الله إلى بني إسرائيل، والله عرفهم » (خر ٢:٢٥).

(٢) وللحال جعل القينيين يمرون أمامي. فسألته: « ما هذه الأشياء؟ » أجاب: « هؤلاء هم القينيون ». ثم أراني مملكة اسمعيل، التي كانت ستأتي بعد القينيين. وللحال بكيت بحرقة، وقلت له: « ربّ! هل سيكون لديه آنئذٍ قرون وحوافر يدوس بها إسرائيل؟ » أجاب: « نعم ».

وحين كنت ما أزال أتحدّث إليه، لمسني مَلَك آخر، والذي اسمه كان ميتاترون « وأيقظني كرجل يوقظ من نومه » (زك ٤:١). وحين رأيته وقفت مرتعشاً، عادت إليّ أحزاني وفقدت قوتي، واستولي عليّ خفقان مثل خفقان امرأة في حالة الوضع[١٧]. قال لي: « شمعون! » فأجبته « ها أنا ». قال لي: « أعرف أنّ الواحد القدوس، المبارك، أرسلني إليك لأخبرك بشأن السؤال الذي وضعته أمامه. الآن وقد رأيت القينيين ومملكة اسمعيل بكيت، وأنت لم تكن لتبكي إلا بسبب مملكة اسمعيل[١٨] فقط، لأنه عند نهاية تلك المملكة سوف يقومون بمذبحة عظيمة في إسرائيل، تفوق كلّ حساب، ويصدرون قرارات قاسية، تقول: « كلّ من يقرأ الشريعة سوف يُقتَل بالسيف »، وسوف يحولون بعضاً من إسرائيل إلى دياناتهم. وسوف تأتي مملكة القينيين في ذلك الزمان إلى أورشليم، وتذبح فيها أكثر من ثلاثين ألفاً.

« وبسبب ظلمهم لإسرائيل، سوف يرسل القدوس، المبارك، الإسماعيليين ضدهم، الذين يشنون حرباً عليهم كي يخلّصوا إسرائيل من أيديهم. ثم يظهر رجل مجنون تتملكه روح ويطلق أكاذيب حول القدوس، المبارك، ويغزو الأرض[١٩]، وهنالك عداوة[٢٠] بينهم وبين أبناء عيسو ».

أجبت متاترون، وقلت له: « رب! هل أنّ أبناء اسمعيل إذاً هم خلاص إسرائيل؟». فقال لي: « ألم يقل اشعياء النبي: فيرى رَكباً، أزواج فرسان، ركّاب حمير وركّاب جمال؟ » (اش ٢١:٧). «رَكّب» هي مملكة ميديا وفارس، « أزواج » هي مملكة اليونان، «فرسان» هي مملكة أدوم، « ركّاب حمير » هو المسيّا، لأنه يُقال: « وضيعاً، راكباً على حمار » (زك ٩:٩) « ركّاب جمال » هي مملكة اسمعيل، الذين ستقوم في أيامهم مملكة المسيّا. لذلك فإن « ركّاب حمير » سبقت « ركّاب جمال »، وسوف يفرح « ركّاب الجمال » حين يأتي المسيّا: وسوف يموت الحكماء وسوف تتقوى أيدي أبناء بليال...

---

(١٦) قارن (قض ١٣: ١٧ - ١٨): « فقال منوح لملاك الرّب: « ما اسمك، حتى إذا تمّ قولك نكرمك؟ » فقال له ملاك الربّ: « لم سؤالك عن اسمي، واسمي عجيب؟ » » - ملاحظة للمترجم العربي.

(١٧) قارن: (دا ١٠:٨ و ١٦): « فبقيت أنا وحدي ورأيت هذه الرؤيا العظيمة، فلم تبق في قوّة وتحولت نضارتي إلى ذبول، ولم أملك قوّة... فإذا بشبه إنسان قد لمس شفتي ففتحت فمي وتكلمت وقلت للواقف: « يا سيدي، إنّه بسبب الرؤيا ارهقتني آلامي ولا أملك قوّة » » - ملاحظة للمترجم العربي.

(١٨) قد يكون خطأ هنا، والأصح: « القينيون ». أنظر التفسير لاحقاً.

(١٩) ربما فلسطين.

(٢٠) hbya (كراهية - حقد) هكذا هي في كسرة *الغنيزا* التي تحتوي « *الأسرار* ». أما في نسخة ميونيخ والنسخ المطبوعة من *الأسرار* فالكلمة هي hmya (خوف، رهبة) - وهذا خطأ.

(٣) «ومن جديد: « رأى القينيين » (عد ٢٤:٢١). ما المغزى الذي رآه بلعام الشرير؟ هذا فقط، فقد رأى بلعام قبيلة قينية كان قدرها أن تقوم وتستعبد إسرائيل، وبدأ يقول: «إيتان مقر إقامتك» أرى أنكم تعيشون فقط بجرس إيتان المزراحي[٢١]» (قارن مز ٨٩ : ١).

(٤)[٢٢] « الملك الثاني الذي سيظهر من أبناء اسمعيل يحب اسرائيل؛ يرمم شروخ الهيكل ، يشنّ حروباً على أبناء عيسو، ويذبح جيوشهم.

« ثم سيظهر ملك والذي اسمه مروان[٢٣]. سوف يكون راعياً للحمير ، وسوف يأخذونه من الحمير ويجعلونه ملكاً، وسوف يقوم عليه أبناء أدوم ويقتلونه.

« سوف يأخذ مكانه آخر، وسوف يُحلّ السلم على كل الجهات، وسوف يحب صهيون[٢٤] ويموت بسلام.

« وسوف يأخذ مكانه ملك آخر، ويمسك المملكة بحزم بسيفه وقوسه، وسوف يكون نزاع في أيامه، أحياناً في الشرق وأحياناً في الغرب، أحياناً في الشمال وأحياناً في الجنوب. سوف يعلن الحرب على الجميع، وحين يسقط الغايرون[٢٥] في الغرب على أبناء اسمعيل في دمشق، سوف تسقط مملكة اسمعيل. وعن ذلك الزمان يُقال: « كَسَر الربّ عصا الأشرار » (اش ١٤:٥). وحين يكون رجال أبناء قيدار الأقوياء ما يزالون معه، ستثور ضده ريح شمالية- شرقية وسوف تسقط منه جيوش[٢٦] عديدة: الأول على نهر دجلة، الثاني على نهر الفرات، والثالث بين الاثنين. سيهرب من أمامهم، وسوف يؤسر أولاده ويقتلون ويعلّقون على الأشجار.

(٥) « « في ذلك اليوم، يصفّر الرب للذباب » (اش ٧:١٨).وسيصفّر القدوس المبارك للنحل الذي هو في أرض آشور (قارن المصدر السابق)، وسوف يشنون الحرب على شعب أشكناز. أول ملك يقودهم ويتقدّم بهم هو خادم ثار على سيده[٢٧]، كما يقال: « هكذا قال الرب... للذي هو مرذول النفس، وقبيحة الأمم، لعبد الطغاة » (إش ٤٩:٧). من هو « الذي ترذله الأمة؟ »[٢٨]. قل، إنه أبناء كنعان، الذين ترذلهم كلّ الأمم. و « عبد طغاة » تعني، أنّه سيكون هنالك عبد للحكام (« db[!yl`m عبيد مشليم »)، والذي سيثور على سادته، وهم يحتشدون إليه، ويشنون حرباً على أبناء اسمعيل ويقتلون رجالهم الأقوياء ويرثون ثرواتهم وممتلكاتهم. إنّهم رجال قبيحون للغاية ويلبسون الأسود ويأتون من الشرق، وهم قساة وسريعون، كما يقال: « فهاءنذا أثير الكلدانيين، الأمّة المرّة المندفعة» (حب ١:٦). كلّهم فرسان، كما يقال: « وهجوم

---

(٢١) yjrzmh @tya tlxmm [من أجراس ايتان المزراحي]. أما في « *الأسرار* » فهي yjrzah @tya twwxmm « من مآثر إيتان الإزراحي »، الذي غالباً ما يكون ابراهيم في الكتابات المدراشية.

(٢٢) مقطع جديد في نص يلنك.

(٢٣) @wwrm

(٢٤) @ax (غنم، ضأن). لكن كاوفمان يصلحها بحيث تصبح @wyx (صهيون).

(٢٥) @wdryg (غييردون)، هي @wryg (غايرون) كما في *الأسرار*.

(٢٦) !yllj (حلليم) هي !ylyyj (جيوش) كما في « *الأسرار* ».

(٢٧) ^lmw @w`ar gyhnm !twa axwmw drm` l[!hynwda . يبدو هذا النص وكأنه نسخة محرفة من العبارة في « *الأسرار* »: rlmhw @w`arh gyhnm` !tza yxwmw !a awh db[drm` l[wynwda

(٢٨) العبارة في النص هي « عبيد موشليم » وهي خطأ كتابي واضح. وقد أصلحتها من نسخة « *الأسرار* ».

الفارس » (نح ٣:٣)، وهم يأتون من أرض بعيدة، كي يتملّكوا مواضع إقامة ليست لهم، وهم يصعدون إلى قمم الجبال، أي، إلى جبل إسرائيل العالي[٢٩]، ينقضون الهيكل ويطفئون الأنوار وينزعون الأبواب.

« ثم سيظهر أربعة ملوك آخرون، إثنان منهم ملهمان والإثنان الآخران يقومان ضدهما، وفي أيامهم سيظهر ابن داود، كما يقال: « وفي أيام هؤلاء الملوك... » (دا ٤٤:٢).

« شكل الملك الأول: رجل مجرّب، لكنه ليس عجوزاً جداً[٣٠]. الملك متواضع، له عينان جميلتان، وشعر أسود ناعم، وهو يضلّهم.

« وبعده سوف يقوم آخر وسط الجدل، ويجعل جيوشاً عظيمة على الفرات، وفي أحد الأيام ستسقط جيوشه في الشمال والجنوب، وسوف يفرّ ويؤسر ويسجن، وطالما هو في الأسر سيكون سلام في الأرض.

« الملك الرابع يحب الفضة والذهب، وهو عجوز وطويل، وله شامة على الأخمص الكبير لقدمه اليمنى. يصكّ نقوداً من النحاس الأصفر ويخفيها ويخزنها تحت الفرات مع الفضة والذهب، وهي مخزّنة لأجل الملك المسيا، كما يقال: « وأعطيك كنوز الظلمة ودفائن المخابئ » (إش ٣:٤٥). في يومه سيثور قرن شعوب الأرض، وسيرسل جيشين ويقتلون بعض أبناء الشرق، ويرسل آخرين.

(٦) « وفي بداية أحد الأسابيع لن يكون مطر، وفي الثاني علامات جوع، وفي الثالث سيكون هنالك جوع عظيم ودون مطر، والرابع سيكون معتدل، وفي الخامس سيكون هنالك شبع عظيم، وفي السادس سيبرز من الشرق نجم واحد، وعلى قمته قضيب من نار مثل رمح، وسوف تقول أمم العالم: « يخرج كوكب من يعقوب » (عد ١٧:٢٤). زمن إشعاعه سيكون الهزيع الأول من الليل، لمدة ساعتين؛ سوف يمضي خمسة عشر يوماً في الشرق، ويدور إلى الغرب ويمضي خمسة عشر يوماً، وإذا كان أكثر فهو جيد لإسرائيل .

II

(٧)[٣١] « عدت ثانية إلى صلاتي وأيضاً إلى صيامي لمدة أربعين يوماً، حتى أوحى هذا المَلَك لي وقال لي: « إسأل! »، فقلت له: «ربّ، ما الذي ستكون عليه نهاية هذه الأشياء ». قال لي المَلَك: «بعد كلّ هذه الأمور يسود أبناء الغرب، بجيوش عظيمة. يأتون مختلطين ويشنون حرباً على أبناء الشرق الذين في أرضهم ويقتلونهم، وأولئك الذين يبقون يهربون من أمامهم ويأتون إلى الاسكندرية. سوف يطاردهم بعض أبناء الغرب ويأتون إلى هناك، وهناك سوف تكون معركة عظيمة، وسوف يهرب أبناء الشرق من هناك ويأتون إلى مصر. سوف يحاصرونها ويأخذون مكاسب هائلة

---

(٢٩) قارن: حز ٢٣:١٧ ؛ ٤٠:٢٠ ؛ ١٤:٣٤.

(٣٠) `ya `y`y @nyaw wqz hbrd ربما إنها إشارة إلى أيوب، حيث ترد كلمة `y`y [عجوز] بشكل رئيس ، وعادة ما تعني الحكمة والخبرة (مثلاً ١٢:١٢ و٦:٣٢).

(٣١) مقطع جديد في نص يلنك.

ويخربونها لتحقيق ما هو مكتوب: « وتكون مصر خراباً » (يوء ٤ :١٩). سيعبرون من فلسطين ناشرين دماراً كاملاً، وكل من يأسرونه لن يعود حتى يأتي المسيا .

وحين سمعت هذا الأمر بكيت للغاية. قال المَلَك لي: « شمعون، لماذا تبكي؟ » أجبت: « ألن يكون هنالك خلاص لأبناء ابراهيم واسحق ويعقوب في أيامه؟ » قال لي: « الأمر مؤلم حقاً. إذا وضعت لحماً على النار، لا تستطيع أن تهرب من رائحته؛ وهكذا فإسرائيل لن يخلّصوا؛ لكن كلّ من يدخل الحجرة ويهرب ويختبئ سوف يخلص، كما يقال: « هلمّ، يا شعبي، وادخل مخادعك » (إش ٢٦ :٢٠)، و: « وكلّ من صودف طُعن، وكلّ من سقط أُخِذ بالسيف » (اش ١٣ :١٥). إنهم يمرون عبر فلسطين ويسلبون، كما يقال: « ويدخل الأراضي فيكتسح ويعبر » (دا ١١ :٤٠) لقد دخلوا الوديان الخربة[٣٢] ، وهم موجودون في وسطها ، وهنالك سوف تحدث معركة عظيمة، والتي تنبّأ بها كلّ الأنبياء، وسوف تتحول جداول الفرات ومياهه إلى دم، وأولئك الذين يبقون لن يكونوا قادرين على الشرب منه، وهكذا سوف تُكسر مملكة الشرق.

(٨) « وبعد كلّ هذه الأمور سوف يقوم مَلِك هدوء ضار، ويستمر لثلاث سنين ونصف. عند بداية ملكه، حين يقوم ، سوف يأخذ الأغنياء ويحتجز نقودهم ويقتلهم، وسوف لن تنقذ النقود مالكها، كما يقال: « لا تقدر فضتهم وذهبهم على إنقاذهم » (حز ٧ :١٩)، وسوف لن تحميه نصيحته ولا مراده. وكلّ من يتلو، «اسمع، يا إسرائيل، الرب إلهنا »[٣٣]، يقتله، وكلّ من يقول، « رب ابراهيم» سوف يقتل. سوف يقولون: « دعونا نرجع جميعاً ونكون كأمة واحدة[٣٤]، ونلغي أيام السبت والأعياء والأشهر الجديدة في إسرائيل»، كما يقال: « وينوي أن يُغَيّر الأزمنة والشريعة » (دا ٧ :٢٥). « الأزمنة » هي الأعياء و « الشريعة » هي الشريعة، كما يقال: «شريعة ضارية عليهم » . في يومه سيكون هنالك اضطراب عظيم لإسرائيل. وكلّ من هو منفي سوف يهرب إلى الجليل الأعلى، كما يقال: « لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم، يكون ناجون » (يوء ٣ :٥)، حتى يصل إلى ميرون Meron[٣٥]. ويقتل في إسرائيل حتى يصل دمشق، وحين يصل دمشق يقدّم القدوس المبارك العون إلى إسرائيل والحظ الطيب. في يومه سيكون هنالك نزاع وحرب في العالم، سوف تحارب كل بلدة جيرانها، مدينة ضد مدينة وشعب ضد شعب وأمّة ضد أمّة، وسوف لن يكون هنالك سلام لأولئك الذين يذهبون ويأتون، كما يقال: « وأضيّق على البشر فيمشون كالعميان » (صف ١ :١٧). سيُطرد شعب الله، وسوف يحدق بهم اضطراب عظيم لسنوات ثلاث، وسوف يسلّمون إلى يده حتى نهاية السنوات الثلاث، كما يقال:

---

(٣٢) قارن: اشعياء (١٩:٧): « فتقبل وتحلّ كلّها في أودية الوهاد، وفي نخاريب الصخر وعلى كلَ عليقة ، وفي الموارد بأسرها » - ملاحظة للمترجم العربي .

(٣٣) وهو مقطع من الصلاة اليهودية، والمقصود بذلك كلّ من يصلّي من اليهود. أنظر، @wrw`y tlpt - ملاحظة للمترجم العربي.

(٣٤) hmwa ربما أنها تستعمل بالمعنى الذي تستخدم فيه اللفظة العربية « *أمّة* ».

(٣٥) الجملة هي @wrm yfmd d[. يصلح كاوفمان الكلمة الأخيرة إلى wrm فيصبح المعنى « حتى يأتي سيدنا ».

« وسيسلّمون إلى يده، إلى زمانين وزمان ونصف الزمان » (دا ٧:٢٥). « زمان » [هو سنة][٣٦]، «زمانان» هو سنتان، و « نصف الزمان » هو نصف سنة، وهو ما يشكّل ثلاث سنوات [ونصف السنة][٣٧]، والتي في نهايتها يُبطل الحكم القضائي والعمل الأحمق، كما يقال: « ومن وقت إزالة المحرقة وإقامة شناعة الخراب، ألف ومائتان وتسعون يوماً » (دا ١٢:١١) - أي، ثلاث سنوات ونصف.

« ثم سيقوم ملك والذي سيردّهم إلى الكفر، كما هو مكتوب: « ويقيمون شناعة الخراب » (دا ١١:٣١). ويحكم ثلاثة أشهر.

(٩) « وبعد ذلك يحارب أبناء اسمعيل الأدوميين في سهل عكا، وللحال سوف يأتي الآشوريون إليهم ويأسرونهم[٣٨]، كما يقال: « فإلامَ يسبيك آشور؟ » (عد ٢٤:٢٢)، و « من ناحية كتيم[٣٩] تأتي سفن » (عد: ٢٤:٢٤). هؤلاء هم الأدوميون المقدّر لهم أن يقوموا في نهاية الأيام وحين يتقدّمون، يذهبون كلصوص، كما يقال: « لو أن السُّراق أتوك » (عو ١:٥). إنهم يشنّون الحرب على أبناء اسمعيل ويقتلون العديد منهم؛ إنهم يتجمعون في مخيم عكّا، والحديد يهشم الصلصال، السيقان تكسر الأصابع[٤٠]، ويفرّون[٤١]، عراة ودون خيول. سوف تنضمّ إليهم فيالق من أدوم، وسوف يأتون ويشنون الحرب في سهل عكّا، حتى تغوص الجياد إلى أفخاذها في الدماء. سيهرب بني إسرائيل حتى يصلوا إلى سهل أريحا، وهنالك سيقفون، ويقول واحدهم للآخر: « إلى أين نهرب؟ دعونا نترك أولادنا وزوجاتنا » - ويعودون ويخوضون حرباً أخرى في سهل مجدّو، وسوف يهرب الأدوميون ويركبون السفن، وسوف تنطلق الريح، وتحملهم إلى بلاد آشور، ويعذّبون الآشوريين وعبر ها-نهر[٤٢]. وفي نهاية التسعة شهور سوف يأتي أبناء بلاد آشور ويدمّرون بني إسرائيل[٤٣] وأبناء روما، كما يقال: « فإلامَ يسبيك آشور » (عد ٢٤:٢٢). وحين ترى الآشوريين[٤٤] يظهرون ويطأون أرض إسرائيل، يحلّون السلام، ويأتي إيليا، المباركة ذكراه، ويقدّم البشارات، كما يقال: « ويكون هذا الرجل سلامنا؛ إذا أتى آشور أرضنا » (مي ٥:٤). يريد أبناء إيطاليا أن يتحاربوا معهم، وسوف تعود المملكة تقريباً إلى أبناء اسمعيل؛ وليس لديهم وقت كي يرسلوا زوجاتهم قبل أن تأسرهم أرض آشور.

---

(٣٦) (٣٧) مفقودة في النص. وقد قمت بإصلاح النص بحسب المعنى والنصوص الموازية (قارن الشروح اللاحقة).

(٣٨) `!yb تقرأ `!ybw ؟

(٣٩) قبرص وسواحل المتوسط الشرقية - ملاحظة للمترجم العربي.

(٤٠) قارن (دا ٢: ٣١ وما بعد).

(٤١) يقول يلنك إن الأصح هو « تُكسر السيقان حتى الأصابع ».

(٤٢) قارن (عدد ٢٤:٢٤): « فتذل آشور وتذل عبراً ». عبراً هنا، هم السكان الذين ينتمي إليهم ابراهيم (تك ١١:٢٦). أنظر ايضاً: (تك ١٠:٢١ ؛ ١١:١٤)- ملاحظة للمترجم العربي.

(٤٣) أو اسمعيل برأي يلنك؟

(٤٤) `!yrww ، لكن يلنك يصلحها لتصبح a`!yrw.

« وتظهر للحال ابنة الصوت وتعلن في كل الأماكن حيث تكون إسرائيل[٤٥]: « اذهبوا وخذوا بثأر الله من أدوم »؛ كما يقال: « وأجعل انتقامي من أدوم في أيدي شعبي إسرائيل » (حز ١٤:٢٥). وللحال يجتمع شبان إسرائيل ويصغون، ويجلسون على العرس ملكاً من نسل داود، ويظهر الشقاق بين هؤلاء وهؤلاء، ويثور أبناء أرض إسرائيل ضد نسل داود، ليحققوا ما يقال: « وتمرّد إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم » (٢ أخ ١٩:١٠). « إلى هذا اليوم » تعني إلى اليوم الذي سيأتي فيه الملك المسيّا. يصل الحزبان إلى العراك، وتمضي ابنة الصوت وتوطوط: « ما كان فهو الذي سيكون » (جا ٩:١) - إنّه القدوس المبارك، الذي كان قبل خلق العالم وسوف يكون بعد دمار العالم - « وما صنع فهو الذي سيصنع » (جا ٩:١). ثم تتكلّم من جديد وتقول: « مثلما فعل يشوع بأريحا وملكها، هكذا يفعلون بأمم العالم ». لكنهم يقولون: « لكن لا يوجد معنا تابوت العهد، مثل ذلك الذي كان مع يشوع »، وتجاوبهم: « لم يكن في التابوت سوى لوحين من حجر، مع الختم «اسمع يا اسرائيل » ». وللحال يطلقون جميعاً صرخة عظيمة ويصيحون: « اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا، الرب واحد »، ويحدقون بأريحا، ويسقط السور للحال، ويدخلون ليجدوا الشبان موتى في الشوارع، ليتحقق ما يقال: « لذلك يسقط شبانها في ساحاتها، ويهلك جميع رجال القتال في ذلك اليوم » (إر ٣٠:٥٠). سيقتلون في المدينة ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم سيجمعون كل ثرواتها في الشارع، وستأتي شائعة إليهم من ارض إسرائيل، وسيكونون في رعب عظيم .

III

(١٠)[٤٦] عدت إلى *الصلاة* من جديد أمام الله، صائماً ومرتدياً الخيش وواضعاً الرماد على وجهي، حتى رأيت، أنّ يداً قد لمستني وجعلتني أقف على قدمي، وقال لي: « اسأل، أيها الرجل البار، ما تريد أن تسأل ». فسألته، وقلت له: « وعند نهاية كلّ هذه الأشياء كيف ستتجمع إسرائيل من أربع زوايا الأرض، وكيف ستكون طريقة خروجهم من تحت الممالك؟ وإذا خرجوا، إلى أين سيذهبون، وكيف ستكون طريقة ذهابهم، وعلى ماذا سيكونون قادرين أن يفعلوا؟ أريدك أن تخبرني بهذه الأشياء وما يشبهها حتى نهاية المسألة».

ثم أجابني من أبواب السماء وقال لي: « عند نهاية مملكة أبناء اسمعيل سوف يقوم الرومان ضد أورشليم ويحاربون أبناء اسمعيل، وسوف تُغزا الأرض[٤٧] من قبلهم. إنهم يدخلونها ويقتلون العديد من أبناء اسمعيل هناك. إنهم يجعلون كثيرين في المدينة يموتون، ويأخذون كثيراً من الأسيرات من بنات إسرائيل، ويفسدون عقول الأولاد، وكل يوم يذبحون أولاداً ليسوع. في ذلك الوقت سوف تعاني إسرائيل من حزن عظيم. وفي ذلك الوقت سوف يوقظ الله أسباط إسرائيل وسوف يأتون إلى

---

(٤٥) النص هو: lar`y ywb` twmwqmh lbb . لكن يلنك يصلح `ywb الى `ybb ، وكاوفمان إلى `b!. وقد تبنيت القراءة الأخيرة.

(٤٦) مقطع جديد من نص يلنك.

(٤٧) على الأرجح فلسطين.

أورشليم المدينة المقدسة، وسوف يجدون أنّه مكتوب في الشريعة: « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق » (خر ١٣:٢١). سوف يسيرون في الندى وبين الغمام، وسوف يشنون الحرب على الأدوميين ويقتلون الكثير منهم، وسوف يظهر الخراب في العالم، لأن الأسباط أتوا. وفي ذلك الزمان سوف تتحقق الآية في إسرائيل: « ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان. وفي ذلك الزمان ينجو شعبك: كلّ من يوجد مكتوباً في الكتاب » (دا ١٢:١). سوف تقوم الأمم ضد إسرائيل وتقتل العديد منهم، والعديد من « شعب الأرض »[٤٨] يأثم، ويعذّبون بالسلاسل العديد من الأتقياء كي يجعلوهم يتركون شريعة الله.

IV

(١١) « وحين يكونون في هذه المتاعب لوقت قصير سوف يرسل الله ريحاً عظيمة وقوية، رعداً عظيماً وغيمةً سوداء لم ير مثلها في العالم، ومن وسط تلك الريح سوف يوزع القدوس المبارك الأسباط في كلّ بلدة، وبالنسبة لذلك يقال: « من هؤلاء الطائرون كالغمام؟ » (إش ٦٠ :٩). سوف يجتمع قليل من رجال إسرائيل إلى أورشليم، وسوف لن يجدوا خبزاً، وسوف يحوّل القدوس المبارك الرمل إلى طحين لأجل إسرائيل، وبالنسبة لذلك الزمان يقال: « وَفُرَتِ الحنطة في البلاد، وتموّجت على رؤوس الجبال » (مز ٧٢:١٦). سوف يقوم نحميا بن حوشئيل ويقدّم آيات في كلمة الله. سوف يقوم مَلِك وينكر الدين ويدّعي أنه خادم الله، في حين لن يكون قلبه صادقاً معه، وسوف يظهر رعد عظيم في العالم، وكلّ العالم سيخاف منه. وسوف تجتمع إسرائيل إلى نحميا بن حوشئيل، وسوف يقيم ملك مصر سلماً معه، وسوف يقتل كلّ المدن حول أورشليم، مثل طبرية ودمشق وعسقلون. وسوف تسمع أمم العالم، وسوف يحلّ عليها الرعب والذعر. أما الآية التي ستكون في ذلك الزمان، فهي أن النجوم سوف تُرى في الدماء. وعن ذلك الزمان يقال: « فتنقلب الشمس ظلاماً والقمر دماً » (يوء ٣:٤). ويرسل القدوس المبارك عشرة أوبئة إلى أمم العالم، كالتي أرسلها إلى مصر، ليتحقق ما يقال: « وفي ذلك اليوم يعود السيّد، فيمدّ يده ثانية ليفتدي بقية شعبه » (اش ١١:١١).

« قالوا إنه يوجد في روما تمثال من المرمر الأبيض، على شكل فتاة جميلة، مخلوقة منذ أيام البداية[٤٩] الستة، وأبناء بليال يأتون من أمم العالم وينامون معها، وتحمل، وفي نهاية أشهر تسعة تنفجر، وذَكَر في هيئة رجل يخرج منها، طوله إثنا عشر ذراعاً وعرضه ذراعان، أحول العينين أحمرهما. شعر رأسه أحمر كالذهب، وأخمصا قدميه خضراوان، وهو يمتلك رأسين، وهم يسمونه أرميلوس Armilus. سوف يأتي إلى أدوم ويقول لهم: « أنا مسيّاكم، أنا إلهكم» إنه يقودهم في الخطيئة، وللحال يؤمنون به وينصّبونه على العرش، وكل أبناء عيسو يتجمعون ويأتون إليه، ويذهب ويأتي بالأنباء إلى كلّ المدن، ويقول لأبناء عيسو: « هاتوا لي الشريعة التي

---

(٤٨) $rah ym[m - أي الجماهير الجاهلة بين الشعب.

(٤٩) أي بداية العالم - ملاحظة للمترجم العربي.

أعطيتها لكم » وتظلّ أمم العالم تأتي وتحضر مدرجة[٥٠]... ويقول لهم: « هذا ما أعطيته لكم »، ويقول: « أنا إلهكم » و « أنا مسياكم وإلهكم ». وفي تلك الساعة يرسل إلى نحميا وإلى كلّ إسرائيل ويقول لهم: « هاتوا لي شريعتكم واشهدوا لي بأني إله ». وتُدْهش كل إسرائيل للحال وتخاف. وفي تلك الساعة سيقوم نحميا مع ثلاثة رجال من بني افرايم. يذهبون معه، وتكون معهم مدرجة للشريعة، ويصرخون أمامه: « أنا، ولن يكون لكم غيري »[٥١]. فيقول هو: « لا شيء من هذا في شريعتكم، وسوف لن أدعكم تستريحون حتى تؤمنوا أني أنا الله، كما آمنت بي أمم العالم ». وللحال يقوم نحميا ضده ويقول له: « لست الله، بل شيطان ». فيسأله « لماذا تكذب عليّ؟ سوف آمر بقتلك »، ويقول إلى خدمه: « امسكوا بنحميا ». وللحال، ينهض مع ثلاثين ألف رجل قوي من إسرائيل ويشنون الحرب عليه ويقتلون عشرين ألفاً من جيش أرميلوس. وسوف يزداد غضب أرميلوس فيجمع كلّ جيوش أمم العالم، ويشن حرباً على بني إسرائيل ويقتل ألف ألف منهم، بل يقتل نحميا عند الظهيرة. وعن ذلك الزمان يقال: « ويكون في ذلك اليوم، يقول السيّد الرب، أنّي أغيّب الشمس عند الظهيرة، وأعتم الأرض في رائعة النهار » (عا ٨:٩). أما أولئك الذين يبقون في إسرائيل، فسوف يفرّون إلى بريّة الشعوب[٥٢]، ويقيمون هناك خمسة وأربعين يوماً دون خبز أو ماء، بل فقط عشب الحقول سيكون طعامهم. وبعد خمسة وأربعين يوماً سوف يأتي أرميلوس ويشنّ حرباً في مصر ويأخذها، كما يقال: « وأرض مصر لا تنجو » (دا ١١:٤٢). ثم يستدير بوجهه صوب أورشليم من جديد كي يدمّرها، كما يقال: « وينصب خيام قصره بين البحار، وجبل بهاء القدس، ويبلغ حدّه، وليس له من نصير » (دا ١١:٤٢).

« « وفي ذلك الزمان، يقوم ميكائيل، الرئيس العظيم » (دا ١٢:١)، وينفخ في الصور ثلاث مرات، كما يقال: « وفي ذلك اليوم يُنفخ في بوق عظيم » (اش ٢٧:١٣). وذلك البوق هو القرن الأيمن لكبش اسحق، والذي يوصل القدوس المبارك طوله إلى ألف ذراع. ينفخ [ميكائيل] نفخة، فيكشف المسيا ابن داود ودانيال عن ذاتيهما. ويذهب الإثنان إلى إسرائيل الذين هم في بريّة الشعوب، فيقول لهم إيليا: « هذا هو المسيا »، ويشفي أفئدتهم ويقوّي أيديهم، كما يقال: « قووا الأيدي المسترخية، وشدّوا الرّكب الواهنة. قولوا لفزعي القلوب: تقووا ولا تخافوا » (اش ٣٥: ٣ - ٤). وسوف يسمع كلّ بني إسرائيل صوت الصور، وسوف يعرفون أنه [الله] خلّص إسرائيل، كما يقال: « فإن الرب قد افتدى يعقوب » (إر ٣١:١١). « ويأتي الهالكون في أرض آشور » (اش ٢٧:١٣). وللحال يستولي رعب عظيم على الشعوب وعلى كلّ الأمم، وترجع إسرائيل مع المسيّا حتى يصلوا إلى برية يهوذا، ويتقابل كلّ بني إسرائيل، ويأتون إلى القدس، ويصعدون إلى أعالي بيت داود الذي يبقى بعد الدمار. سوف يجلس المسيّا هناك، وسوف يخاف أرميلوس من أن ملكاً قد عيّن على إسرائيل. يجمع جيوش كلّ أمم العالم ويأتون إلى الملك المسيّا وإلى بني إسرائيل.

---

(٥٠) كلمة في النّص مطموسة هنا.

(٥١) إشارة إلى الوصيتين الأوليين في الوصايا العشر.

(٥٢) أنظر: حز ٢٠:٣٥: (« وآتي بكم إلى بريّة الشعوب، وأحاكمكم هناك وجهاً إلى وجه »).

سوف يقاتل القدوس المبارك لأجل إسرائيل، ويقول للمسيا: « إجلس عن يميني » (مز ١١٠: ١)، ويقول المسيّا لإسرائيل: « اصمدوا تعاينوا الخلاص الذي يجريه الرّب » (خر ١٣:١٤). وللحال يتقدّم القدوس المبارك، ويحاربهم، كما يقال: «ويخرج الرب ويحارب تلك الأمم » » (زك ٣:١٤)، وكما هو مكتوب: « في ذلك الزمان آتي بكم، سيكون الزمان الذي أحشركم فيه، لأني سأجعل لكم اسماً وحمداً، في جميع شعوب الأرض » (صف ٢٠:٣).

آمين! أرجو أن يقترب ذلك الزمان وتلك الساعة.



التفاسير

بقلم: برنارد لويس

I

(١) يتضمّن هذا [المقطع] الظروف التي تلقى فيها الحاخام شمعون نصوصه الموحاة ويصفها . بعد السطر الأول تُقدَّم بعض الأساطير ذات الأصل التلمودي المتعلقة بحياة الحاخام شمعون. وقد حُذِفت من الترجمة، لأنها غير ذات إفادة لهدف دراستنا الآني. أما ما تبقى من الترجمة فهو نسخة موسّعة جداً من نصين أكثر قدماً، واللذين يُستهَلان كما يلي:

الأسرار	***الملوك العشرة***
هذه هي الأسرار التي أوحيت للحاخام شمعون بن يوحاي حين كان مختبئاً في مغارة من الإمبراطور، ملك أدوم، مصلياً وصائماً لأربعين يوماً وأربعين ليلة. لقد بدأ كما يلي: « أيها الرب الإله، حتى متى ستظل غاضباً من صلاة عبدك »[١]. وللحال أوحيت له أسرار النهاية والأمور المخفية، وبدأ يجلس ويشرح...	هذه من الأشياء المستقبلية التي أوحيت للحاخام شمعون بار يوحاي حين كان مختبئاً ثلاثة عشر عاماً في مغارة من حكم أدوم، الذي أصدر قراراً بتدمير إسرائيل. ظلّ يصلّي ويصوم ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي النهاية بدأ وقال: « أيها الرب الإله، حتى متى ستظلّ غاضباً من صلاة عبدك؟ » وللحال أوحيت له أسرار النهاية والأشياء المحجوبة[٢] ، وبدأ يشرح.

سوف يظهر أن نسخة « *الصلاة* » أقرب إلى « *الأسرار* » منها إلى *الملوك العشرة*. والصلاة الفعلية مقدّمة في الهخالوت.

(٢) هنا تبدأ الرؤيا. فحاخام شمعون يُرى الإمبراطوريتين اللتين كانتا ما تزالان تحكمان، أي القينية واسمعيل. من الواضح أن الأولى تتطابق مع أدوم، وتعني روما وبيزنطة. أما الثانية فلا ريب أنها الإسلام. يقول الملَك، تأتي الإمبراطورية

(١) قارن: (مز ٨٠:٥): [« أيها الرب إله القوات، إلى متى تغضب على صلاة شعبك »] - ملاحظة للمترجم العربي.

(٢) قارن (دا ١٢: ٤، ٩): [« وأنت، يا دانيال، أغلق على الأقوال، واختم على الكتاب إلى وقت النهاية. إنّ كثيرين يتيهون ويزداد الإثم... فقال: إذهب، يا دانيال، فإنّ الأقوال مغلقة ومختومة إلى وقت النهاية »] - ملاحظة للمترجم العربي.

الإسلامية، لإنقاذ إسرائيل من بيزنطة، وشكوك الحاخام شمعون حول خلاص إسلامي تُسكت باستشهاده من اشعياء، ٢١.

المقطعان المقابلان في « *الأسرار* » و « *الملوك العشرة* » يسيران كما يلي:

الأسرار	***الملوك العشرة***
رأى القينيين. حين رأى مملكة	يقول الحاخام صموئيل، فيما
اسمعيل التي كانت قادمة، بدأ	يتعلق بكلمات الحاخام اشمعيل،
يقول: «ألم يكف، ما فعلته بنا	الذي اعتاد أن يقول: «كيف
مملكة أدوم الشريرية، بل علينا	نعرف أنّ القدوس المبارك، لم
أن نتحمَّل مملكة اسمعيل أيضاً؟»	يأتِ بمملكة اسمعيل إلاّ لإنقاذ
وللحال أجاب ميتاترون أمير	إسرائيل؟» كما يقول اشعياء
التأييد وقال: «لا تخف، يابن	النبي، الذي رأى «رَكباً ،
الإنسان لأنّ القدوس المبارك لا	أزواج فرسان، ركّاب حمير
يأتي بمملكة اسمعيل إلا كي	وركّاب جمال» (اش ٢١:٧).
يخلّصكم من هذا الشر. إنه يقيم	يعلّمنا هذا أنه سيعود أولاً إلى

عليهم نبياً بحسب إرادته [إرادة	عادة سلالة أمته التي تظلم العالم
الله] وسوف يغزو الأرض	وتؤلمه بضرائب ثقيلة. «فيصغي
لأجلهم وسوف يأتون	إصغاءً شديداً» (اش ٢١:٧).
ويستردونها بعظمة، وسيكون	«شديد »: يقول حاخام
هنالك رعب عظيم بينهم وبين	شمعون: «حين رأى اشعياء أنه
أبناء عيسو »[٣]. أجاب حاخام	كان ثمة سلام في فمه هلّل
شمعون وقال: «كيف لنا أن	فرحاً». وقال حاخام شمعون
نعرف أنّهم خلاصنا؟» أجاب:	[أيضاً]: «ما هو مكتوب،
«ألم يقل النبي اشعياء أنه رأى	«فيرى ركباً، أزواج فرسان،
ركباً، أزواج فرسان، الخ؟ لماذا	ركاب حمير وركاب جمال» .

(٣) يرد النص في كسرة *الغنيزا* كما يلي: « يقيم عليهم نبياً مجنوناً ، تتملكه روح، ويغزو الأرض لأجلهم ويأتون إليه ويسيطرون بعظمة وستكون هنالك عداوة عظيمة بينهم وبين أبناء عيسو » (Wertheimer, pp. 25 - 6). تقدّم مخطوطة ميونيخ (107v) قراءة ثالثة، اقرب إلى هذه النسخة منها إلى النصوص المطبوع. قارن شتاينشنايدر، « أبوكاليبتات » Steischneider, "Apocalypen..." *ZDMG* xxviii, p. 635.

وضع ركّاب الحمير قبل ركّاب	يعني هذا: «ركباً» هي بابل،
الجمال، حين لم يكن بحاجة غير	«أزواج» هي ميديا، «فرسان»
إلى أن يقول: «ركّاب جمال	هي اليونان، «ركّاب حمير»
وركّاب حمير؟» لكن حين	هي أدوم، «ركّاب جمال» هي
ينطلق راكباً جملاً سوف يبرز	مملكة اسمعيل. وحين رأى
الحكم عبر[٤] الراكب على	الخلاص الذي كان سيأتي قال:
حمار. من جديد نقول:	«الحمِل على العربية[٥]، في
«ركّاب حمير »، كونه يركب	الغابة في العربية تبيتون، يا قوافل
حماراً، تُظهر أنهم سيكونون	الدذانيين» (اش ٢١:١٣) ».
خلاص إسرائيل، مثل الخلاص	يقول حاخام شمعون: «حين
[الذي يأتي به] الراكب على	رأى اشعياء أن الأمور الشريرية

(٤) ربما أن wdyb هنا هي ydyb ؟
(٥) النص يختلف بالطبع هنا عن الترجمات العربية للعهد القديم. - ملاحظة للمترجم العربي.

كانت ستظهر من ذلك الذي كان سيقمع إسرائيل ويأخذ عطية الحياة من الأحياء وعطية الموت مـن المذبوحـــين، بـــدأ يصرخ ويقول: «شديداً ». وهكذا فقد اعتاد الحاخام شمعون أن يقول: «في بداية حكمه، حين سيظهر، سوف يلتمس إيذاء إسرائيل، لكن	حمار... [«أي، المسيا »] ».
رجال إسرائيل العظماء سوف ينضمون إليه ويعطونه زوجة من بينهم، وسوف يكون هنالك سلام بينه وبين إسرائيل.	

	سوف يغزو كل المملكة ويصل إلى أورشليم... ».

سوف نرى للحال أن نسخة *الصلاة* تختلف بنقاط عديدة عن النسختين الأقدم منها، واللتين تختلفان بدوريهما الواحدة عن الأخرى. ففي الموضع الأول، نجد أنّها تتضمن إضافات كثيرة. وفي حين يبدو أن معظم هذه الإضافات أدبية في فحواها، فإنّ واحدة على الأقل ذات مغزى تاريخي - عودة ظهور القيني عند نهاية حكم اسماعيل وغزوه لأورشليم، مع مذبحة عظيمة. ليس من الصعب أن نرى في هذا انعكاساً لزمن الكاتب الأخير، وإشارة إلى دخول الصليبيين القدس عام ١٠٩٩، والذي فيه، كما سنرى لاحقاً، رأى العلامة الأولى على النهاية الوشيكة. والمراجع العربية[٦] تشهد على «المذبحة العظيمة» التي قام بها الصليبيون لليهود والمسلمين.

لقد اقترح كاوفمان[٧] أن هذا المقطع ككلّ يعتمد على كسرة من أبوكاليبس أكثر قدماً، ترجع إلى زمن الغزوات، رأى مؤلفها في ظهور الإسلام وانتشاره الخطوات التمهيدية للخلاص. ويكمل كاوفمان فيقول، إن هذه الآمال، حين تحطمت، شطب الكتّاب المتأخرون النهاية الإسكاتولوجية وأعادوا تنقيح « النبوءة » ذاتها وفق روح زمنهم. وأية مقارنة بين النسخ الثلاث أو نسخ *الأسرار* المختلفة سوف تميل لتعزيز هذه الفرضية، حيث تظهر أنه، في حين تعبّر *الأسرار* عن أمل مسياني من هذه الأحداث، فإن الأخريات هي انعكاسات لاحقة وربما مستقلة للتحرّر من الوهم.

في *الأسرار* نجد أن دور اسمعيل كفادٍ إنما يقرّره بوضوح وقوة أحد الملائكة، وتدخل حاخام شمعون المقحم لا يعدو كونه أكثر من سؤال بلاغي. في *الملوك العشرة*، من ناحية أخرى، يعبّر عن بعض الشك، والموضوعة ككلّ تُختصر من إعلان إلهي إلى مناظرة مدراشية بين حاخام شمعون وداعم لدور اسمعيل والذي

(٦) قارن: ابن القلانسي، *ذيل تاريخ دمشق*، تحرير Amedroz، بيروت، ١٩٠٨، صص ١٣٦ - ١٣٧ (= هز آ. ر. جيب، *تاريخ دمشق للصليبيين* *The Damascus History of Crusades*، ١٩٣٢، صص ٤٧ - ٤٩)؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تحرير Tornberg، لايدن، ١٨٥١ - ٨٧٦، x، ١٩٣ - ١٩٤ (= *Recueil des Histories des Croisades*, Paris, 1841ff., Historiens Orientaux, I, pp. 198 - 9)؛ ابن ميسّر، *حوليات مصر* *Annales d'Egypte*، تحرير Massé، القاهرة، ١٩١٩، ص٣٩ (*Recueil*, Hist. Or., III, 463 - 4).

(٧) *Mid. G.*, pp. 162 - 174 .

يحمل هو ذاته على نحو ملفت للنظر اسم اسمعيل[٨]. بل أنّ بركات اسمعيل تُعَدَّل بالضرائب الثقيلة والملوك الأشرار والمبتزين.

نقول من جديد، إنه في نص سالونيك *للأسرار*، يظهر محمّد كنبي والذي يقيمه الله « عليهم بحسب إرادته ». أما في *الملوك العشرة* فلا توجد إشارة لا لله ولا للنبي، وصورة محمد ذاته تصبح مشوشة مع صور الخلفاء الأوائل. في *الصلاة*، يزداد انزياح الوهم، وهكذا فقد أصبح « رجلاً مجنوناً، تمتلكه روح »[٩]. وهذه العبارة، التي ربما تكون تلميحاً إلى سفر هوشع ٩:٧ [« ليعلم إسرائيل أن النبي غبي، ورجل الروح مجنون »]، أصبحت بمرور الزمن التسمية التي اعتاد المجادلون اليهود ضد الإسلام إطلاقها على محمد[١٠]. والتلميح في *الملوك العشرة* إلى محاولته « إيذاء إسرائيل » ربما يكون صدى لتعاملات محمّد مع اليهود في المدينة المنورة، في حين أن الإشارة إلى « عظماء إسرائيل » الذين ينضمون إليه مأخوذة عن أسطورة موجودة في المراجع اليهودية والمسيحية، وربما أنها ترتكز على نسخة محرّفة من حكاية أو حكايتين في التقليد الإسلامي[١١].

متاترون - هو اسم رئيس الملائكة في الأدب الحاخامي.

«سوف يقومون بمذبحة عظيمة، الخ» - ربما أنّ موضوع هذه الجملة هو القينيون، أي الصليبيون، وليس اسمعيل. قارن الفقرة ١٠ لاحقاً.

« وبسبب ظلمهم »، أي، البيزنطيون، الذين تعود إليهم القصّة الآن، بعد الجملة المعترضة حول الصليبيين.

أمّا المقطع من اشعياء فهو مقطع شائع عند الكتّاب الأبوكاليبتيين. ويجب أن نلاحظ أن التفسير في *الصلاة* يختلف عن التفسيرين في النسختين الأخريين، مع أن ذلك ليس بشأن المسألة الأساسية المتعلقة بالمطابقة بين الجِمَال والإسلام. أمّا المطابقة بين الحمير والمسيّا، المقدّمة ضمنياً في *الأسرار* وبشكل واضح في *الصلاة*، فهي

---

(٨) وهذا هو الحاخام اسمعيل الذي تُنسب له النبوءات الخمس عشرة المتعلقة بأفعال الغزاة العرب في سفر بركه درابي *اليعزر*، الفصل ٣٠ (ترجمة انكليزية قام بها غ. فريدلاندر G. Friedlander، لندن، ١٩١٦، ص. ٢٢١). وقد استخدم جامع *الملوك العشرة* العمل المذكور الآنف الذكر.

(٩) تظهر هذه النسخة أيضاً في نسختي ميونيخ *والغنيزا للأسرار*. في الأولى هي hwrh `yaw hfw` aybn [« نبي مجنون ورجل ممسوس »]، وفي الثانية هي gw`mw aybn hfw`] [« مجنون ونبي ممسوس »]. وربما أن نسخة سالونيك هي تصليح من قبل المحرّر بهدف إحباط اعتراضات السلطات الإسلامية؛ لكن الاختلاف بين نسختي *الغنيزا* وميونيخ يجعل الأكثر ترجيحاً أن تكونا نسختين مستقلتين، والنسخة السالونيكية موثوقة.

(١٠) قارن آ. برلينر، *مصادر التاريخ والأدب اليهوديين* *Quellenschriften zur jüdische Geschichte und Literatur* ،I، فرانكفورت، ١٨٩٦، صص ix - x.

(١١) قارن: ج. مان J. Mann « *عمل جدلي ضد القرّائين والمنشقين الآخرين* *"A Polemical Work against Karaite and other Sectaries"*، *JQR*، n.s، xii، ١٩٢١ - ١٩٢٢، ⇐ صص ١٢٣ - ١٥٠؛ ج. ليفين J. Leveen، « *محمد وصحابته اليهود* *Mohammed and his Jewish Companions* »، *JQR*، n.s، xvi، ١٩٢٥ - ١٩٢٦، صص. ٣٩٩ - ٤٠٦؛ م. شفابه M. Schwabe، « *صحابة محمد اليهود العشرة* *Mohammed's Ten Jewish Companions* »، Tarbiz، ii، ١٩٣٠، صص ٧٤ - ٨٩. لقسطنطين *di Administrando Imperio* العاشر. من أجل نقاش المسألة، أنظر التفسير الملحق بالنسخة الإنكليزية للعمل المذكور أخيراً.

محذوفة بالكامل من *الملوك العشرة*، والمطابقات الأخرى مكيّفة هناك بحسب ذلك. وربما أنّ هذا يعكس أيضاً إحباط الأمل المسياني الأوّلي المرتبط بظهور الإسلام.

لقد استُخدم مقطع اشعياء هذا ذاته من قبل الكتّاب المسلمين مثل علي الطبري (القرن التاسع) والبيروني (مات عام ١٠٤٨) لصالح الإسلام، وقد دُحض ذلك من قبل أحد الكتّاب المسيحيين منذ بداية القرن العاشر[١٢]. يمكن أن نجده أيضاً في *الرسالة إلى اليمن* التي تنسب لموسى بن ميمون.

« وسوف يموت الحكماء، الخ » - قد تكون هذه الجملة محرّفة أو خارج موضعها.

(٣) هذا المقطع مأخوذ عن *الأسرار*، ويبدو وكأنه حاشية مدراشية على السابق.

(٤) وصف مختصر ومتشظٍ للخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية. والكاتب النهائي قام باختصارات عنيفة في النسخ الأكثر قدماً. وكي نفهم هذا المقطع يمكن أن نشير إلى نسختي *الأسرار* و*الملوك العشرة* اللتين تسيران كما يلي:

الأسرار	***الملوك العشرة***
الملك الثاني الذي يقوم من	... سوف يغزو كلّ المملكة
اسمعيل سوف يكون حبيب	ويأتي إلى أورشليم وينحني
إسرائيل؛ إنه يرمم صدوعها	هناك ويشن حرباً على
وصدوع الهيكل. إنه يحفر جبل	الأدوميين وسوف يفرون من
موريا ويجعله مستقيماً بالكامل،	أمامه وسوف يأخذ الملكية
ويبني مسجداً [١٣] هناك على	بالقوة ومن ثم يموت.
صخرة الهيكل[١٤] كما يقال:	

(١٢) قارن غ. فون غرينباوم G. von Grunebaum، *إسلام العصور الوسطى* *Medival Islam*، شيكاغو، ١٩٤٦، ص ص ١٧ - ١٨.

(١٣) hywjt`h - معادل حرفي ل*مسجد* العربية.

«وعلى الصخرة وكرك » (عد	
٢١:٢٤). ويشن حرباً على أبناء	
عيسو ويقتل جيوشه ويأخذ	
أسرى عديدين منه، وسوف	
يموت بسلام وبمجد عظيم.	
وسوف يقوم ملك عظيم من	سوف يقوم واحد من
هزرمفيت[١٥] ويحكم لفترة	هزرمفيت في مكانه، وسوف
قصيرة، وسوف يقوم عليه	يقوم آخر ويقتله، وسوف
رجال بني قيدار[١٦] الأقوياء	يذهب إلى أورشليم ويقطع
ويقتلونه.	جبل موريا ويجعله مستقيماً
سوف يقيمون ملكاً آخر اسمه	بالكامل.
مرياو[١٧]، وسوف يأخذونه من	وسوف يقوم آخر ويحكم بعده

(١٤) hyt` @ba [« صخرة الأساس »] - أي صخرة القدس الشهيرة.
(١٥) مصطلح شائع يطلق على العرب في الأدب العبراني.
(١٦) قارن (تك ١٠:٢٧): [« وهدورام وأوزال ودلقة »]. وهي عادة ما تعني حضرموت.
(١٧) @ayrm . إذا أجرينا عليها تصليحاً طفيفاً تصبح @awrm - مروان.

النعاج والحمير ويوصلونه إلى	لفترة قصيرة.
الملكية، وسوف تخرج عنه أربعة	وسوف يقوم ملك آخر أعظم
أذرع وسوف يصلحون	من الجميع، وسوف يدعونه
الهيكل.	مروان، وسوف تخرج عنه
عند نهاية مملكة الأذرع الأربعة	أربعة أذرع، وسوف يصلحون
سوف يقوم ملك جديد ويختزل	جدار الهيكل.
المعايير والأوزان ويمضي ثلاث	
سنوات في سلام. وسوف	
يكون هنالك نزاع في العالم في	
أيامه وسوف يرسل جيوشاً	
عظيمة ضد الأدوميين وسوف	
يموتون[١٨] هناك من الجوع،	
وسوف يكون معهم طعام كثير	

(١٨) twmy نقرأها wtwmy .

ويمسكه عنهم ولا أحد		
يعطيهم[١٩]، وسوف يقوم أبناء		
أدوم ضد أبناء اسمعيل		
ويقتلونهم وسوف يقوم أبناء		
اسمعيل ويحرقون الطعام وأولئك		
الذين يبقون سوف يهربون		
ويرحلون.		
ثم سوف يقوم الملك العظيم	وسيقوم ملك آخر ويحكم تسعة	
ويحكم تسعة عشر عاماً. وهذه	عشر عاماً، وسوف يأكل	
هي علاماته: عينان حولاوان[٢٠]	هدوء أبناء اسمعيل.	
حمراوان، مع ثلاث وحمات،		
واحدة على حاجبه، وواحدة		

(١٩) النص في مخطوطة ميونيخ هو: « سوف يكون لديهم طعام، لكنه سوف يمسكه عنهم ولا يعطيهم إياه ».
(٢٠) `@y[h @PY . يصلحها غريتس لتصلح `@w[h #yP ، لكن شتاينشنايدر يربطها مع الجذر العربي شفن.
والاثنتان يمكن أن تعنيا العينين الحولاوين. يمكن ربط الكلمة مع *صافن* من اليونانية safiniz >

على يده اليمنى، وأخرى على	
ذراعه اليسرى. سوف يذرع	
أشجاراً فتية ويبني بلدات بائدة	
ويفجر اللجج كي يخرج الماء	
ويروي أشجاره. سوف يأكل	
أحفاد أولاده[٢١] كثيراً، وكل	
من يقوم ضده سوف يُسَلَّم إلى	
يديه. سوف تكون الأرض	
هادئة في أيامه وسوف يموت	
بسلام.	
سوف يقوم ملك آخر ويحاول	سوف يقوم ملك آخر ويحاول
أن يغيّر مسار مياه الأردن؛	أن يهرب من ميمري[٢٥] لكن
سوف يأتي برجال بعيدين من	خطته لن تتحقق، وسوف يقوم

(٢١) wynb ynb ynbw .

(٢٥) yrmymm twdrol .

أراضٍ غريبة كي يحفروا ويشقوا	عليه زعماء قيدار ويقتلونه.
قنالاً ويرفعوا مياه الأردن كي	سوف يقوم آخر والذي
تسقي الأرض. وسوف ينهار حفر الأرض عليهم ويقتلهم[٢٢]	سيختزل المعايير والأوزان.
وسوف يسمعهم رؤساؤهم	
ويقومون ضد الملك ويقتلونه.	
سوف يقوم ملك آخر بالقوة،	سوف يقوم آخر ويكافح في
رجل حرب، وسوف يكون	الشرق والغرب، وبعد ذلك
نزاع في العالم في أيامه، وهذه	«لن يكون هنالك سلام »، قال
هي العلامة لكم؛ حين ترون أن	الرب.
الغيرون الغربي في غرب مسجد	
أبناء اسمعيل في دمشق يقع،	
فسوف تسقط مملكته. إنهم	

(٢٢) !grhyw هي على الأرجح !grhTw.

يدخلون ويجبون الضرائب، بل ستسقط حتى مملكة اسمعيل، وعنهم يقول: « كسر الرب عصا الأشرار» (اش ١٤:٥)[٢٣]. وهذا مروان فعلاً. وحين يكون رجال بني قيدار الأقوياء ما يزالون معه، سوف تثور ضده الزاوية الشمالية الشرقية، وسوف تسقط منه ثلاثة جيوش عظيمة على دجلة وفي فارس[٢٤]. ويفر أمامهم ويؤسر ويقتل، وسوف يعلّقون أولاده على الشجر.	

(٢٣) تضيف مخطوطة ميونيخ جملة تقول: « العصا ليست سوى إسماعيل ».
(٢٤) rP!. لكنها ترد في مخطوطة ميونيخ trP - الفرات

ثم يواصل *الأسرار* ليتحدث عن مجيء المسّيا، في حين ينتقل *الملوك العشرة* إلى رواية تاريخية.

من الواضح أن لدينا في هذين النصين نسختين أكثر اكتمالاً وقدماً لأبوكاليبس كُتبت أثناء سقوط الخلافة الأموية، والتي اعتمد عليها هذا القسم من *الصلاة*. وكان أول من لاحظ أهمية هذا المقطع هو غريتس[٢٦]، ورغم اعتراض شتاينشنايدر[٢٧]، يبدو تحليله صحيحاً في نقاطه الأساسية، رغم أنّه ليست كلّ التفاصيل صحيحة. فمع تزايد معرفتنا الآن بتاريخ الإسلام الأوّلي، يبدو ممكناً القيام بتحديد أكثر دقة، والرد بالتالي على معظم اعتراضات شتاينشنايدر.

يمكن بسهولة تمييز بعض خلفاء بني أمية. فمروان يظهر بالاسم في *الصلاة* وفي *الملوك العشرة*، كما يظهر اسمه محرفاً قليلاً في *الأسرار*. « الأغنام والحمير » هي تلميح إلى الغموض الذي أمضى فيه السنة الأخيرة من حكم معاوية. « الأذرع الأربعة » هم بالطبع أولاد عبد الملك الأربعة الذين صاروا خلفاء. وهذا التعاقب للأخوة أثر أيضاً بمؤلف الكسرة الأبوكاليبتية التي نشرها ليفي[٢٨]. أما إصلاح الهيكل فهو يشير إلى بناء عبد الملك للمسجد في القدس.

يمكن تحديد سليمان بسهولة عن طريق الحملة الفاشلة ضد القسطنطينية. إن نقص الموارد وإحراق المواد الاحتياطية على يد مسلمة معروفان جيداً في المصادر الإسلامية[٢٩]. أما الإشارة إلى الموازين والمعايير فقد تكون صدىً للإجراءات المالية المفروضة على سليمان بسبب كلفة الحملة، أو قد تكون صدىً لإعادة التنظيم التي بدأها عبد الملك. لكن هذه الجملة في غير محلها في *الملوك العشرة*.

الملك العظيم الذي يحكم تسعة عشر عاماً ويغلب كلّ أعدائه لا يمكن أن يكون سوى هشام. وأفعاله كبانٍ و « وكزارع للأشجار » معروفة جيداً[٣٠]. والمصادر الإسلامية تشهد على حَوَله[٣١]، أولاده الكثر[٣٢]، وهدوء الأرض في أيامه[٣٣].

يبدو وكأنّ كلّ شيء يشير إلى الوليد الثاني باعتباره الملك الذي حاول أن يغيِّر مجرى نهر الأردن - فقد جاء بعد هشام مباشرة، أفعاله حول فلسطين، ونهايته

---

(٢٦) *تاريخ* *Geschichte*، v، المصدر السابق.

(٢٧) أبوكاليبتات Apocalypsen، المصدر السابق.

(٢٨) إسرائيل ليفي Israel lévi، « *أبوكاليبس يهودية - عربية* *Une Apocalypse Judéo-Arabe* »، *REJ*، Lxix، ١٩١٤، ص‌ص ١٧٧ - ١٨٢. قارن: فرتهايمر، ii، ص ٣٠.

(٢٩) الطبري، *حوليات* *Annales*، لايدن، ١٨٩٧ - ١٩٠١، ii، ١٣١٦؛ قارن: *كتاب العيون* (في *كسرة تاريخية عربية* *Fragmenta Historicum Arabicorum*، تحرير De Goeje، - لايدن، ١٨٧١)، ص ٢٩؛ ابن الأثير v: ص١٨.

(٣٠) قارن الملاحظات الهامة التي قدمها ج. سوفاج J. Sauvaget، في عمله « ملاحظات حول النصب التذكارية الأموية Remarques sur les Monuments Omeyyades »، *JA*.، ١٩٣٩، ص‌ص ١ - ٣.

(٣١) مثلاً المسعودي، مروج، تحرير Pavet de Caurteille و Barbier de Meynard، باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧، v، ص ٤٦٦؛ *التنبيه*، تحرير De Goeje، لايدن، ١٨٩٤، ٣٢٢. أنظر أيضاً:

Carra de Vaux, *Le Livre de L'Avertissement*, Paris 1897, p. 417

(٣٢) قارن: *خلافة هشام* F. Gabrieli, *Il califfato di Hishڡm*, Alexandria, 1935, p. 139 .

(٣٣) *المصدر السابق*، ص ١٤١.

العنيفة على يد « زعماء قيدار ». بل حتى القناة موثقة. فالطبري يدون حديثاً يستفهم فيه الخليفة عن قنال شقها في منطقة الأردن، ويسأل كم بقي منها[٣٤].

هذا يدعم قراءة *الأسرار* ضد الإشارة المحرّفة والغامضة ربما إلى ميمري المجهول في *الملوك العشرة*. إن هذه الجملة ككلّ هي بقية ملفتة للنظر والمقطع المشار إليه غالباً من سويريوس ابن المقفع، الذي أشار إليه لامنس ببناء المشتّا[٣٥]. يختلف النصان في مسألتين هامتين - ابن المقفع لا يذكر الأردن، و*الأسرار* لا يتحدث عن بلدة أو مبنى. لكنهما يتفقان في تحويل المياه، استيراد العمال من مواضع أخرى، وثورتهم. لا يمكن استبعاد احتمالية أن يكون المقطعان على حد سواء يشيران إلى الأحداث نفسها، والتي من غير المرجح فيها تعيين حالة المشتّا في نص سويريوس بسبب بعد الموقع عن الأردن، ولا يمكن لنا أن نجد موقعاً آخر أكثر قرباً إلى الأردن.

الملك الأخير هو بالطبع مروان الثاني، الذي يوصف بوضوح نضاله اليائس ضد تقدم العباسيين. أما الغيرون، كما أظهر شتاينشنايدر[٣٦] فهو باب جيرون، وهو البوابة الشرقية لمسجد دمشق، المسماة، بحسب المصادر العربية، على اسم معبد ما قبل إسلامي. لكن *الملوك العشرة* و*الصلاة* يجعلان على حد سواء جيرون في الشرق. و*الأسرار* يذكرها مرتين، مرة في الغرب ومرة في الشرق. وربما أنّ المقطع يشير إلى « يوم جيرون »، الذي حصل فيه تصادم بين قيس وكلب في المسجد، والذي تأوج في معركة مرج راهط. وإذا كان الأمر كذلك، فالمتنبئ الذي رأى فيه نذيراً بسقوط مملكة اسمعيل لم يكن مخطئاً كثيراً.

يظل هنالك بعض الشك حول بداية المقطع حيث يبدو أنّ ثمة خلطاً بين الخلفاء الراشديين والأمويين. وحين نتذكّر أن الكاتب كان على الأرجح يهودياً فلسطينيا، والذي كان معاوية بالنسبة له الممثل المباشر منذ زمن طويل للحكم العربي، أولاً كحاكم ومن ثم كخليفة، لا يعود هذا الأمر مفاجئاً. وتقلبات الخلافة في شبه الجزيرة والعراق لا يمكن أن تترك أي انطباع عميق على شخص كهذا. « فالملك الثاني » الذي يموت بسلام وشرف بعد عدة انتصارات، لا يمكن أن يكون سوى معاوية، الذي تُعزى له خطأً بعض أفعال عمر في سورية خلال حكم معاوية. أما الملك الذي مات في هزرمفيت والذي اغتاله رجال بني قيدار الأقوياء فهو صدىً بعيد لحكم علي وموته في العراق. وفي نسخة *الملوك العشرة* يتم الخلط بين شخصية عمر وشخصية محمد ذاته، وربما عبر حذف إحدى العبارات الرابطة مثل « ثم قام ملك آخر »، أو شيء من هذا القبيل، ويأتي معاوية في مكانه المناسب بعد علي. أما الإشارة الضمنية بأنّ معاوية قتل علياً فمن الواضح أنها لا تعني أكثر من أنه كان المستفيد من موته. هنالك إشارة مختصرة إلى زيارة معاوية للقدس حيث تم تتويجه وإلى حكم يزيد الأول بعده.

---

(٣٤) ٢: ١٨٠٣. وقد استشهد به ي. براسلافسكي I. Braslavski, «*Hat Walïd II den* Jordan *ablenken wollen*? », *JPOS*, xiii, 1933, pp. 97 - 100 .

(٣٥) ة*tudes sur les Siecle des Omeyyades*, Beirut, 1930, p. 384ff .

قارن: Sauvaget, “Remarques”, pp. 31 - 5 .

(٣٦) Apocalypsen, *ZDMG*, pp. 638 - 645 .

من هذا كله لا يبقى سوى القليل جداً في نسخة *الصلاة*، التي لا تحتفظ إلا بأربعة ملوك. مع ذلك فحتى عند هؤلاء هنالك اختلافات هامة عن النسخ الأقدم. فمن المفاجئ أن يقتل مروان على يد أبناء أدوم. وربما يكون سبب هذا إضافة إلى جملة لكسرة مُساء فهمها من رواية حول سليمان تأتي بعد ذلك بفترة قصيرة. رواية مروان الثاني أكثر طولاً، وربما أنها مأخوذة عن نص مشابه أكثر قدماً. أحد الملوك جديد بالكامل. ألا وهو خليفة مروان، الذي « سوف يحل السلم على كل الجهات و... سوف يحب صهيون[؟]، ويموت بسلام » . ربما يكون عبد الملك، الذي يظهر في نسخ أخرى عبر تلميحات غير مباشرة ليس إلا.

(٥) لقد اشار غريتس[٣٧] على نحو مصيب تماماً إلى أنّ هذا المقطع لم يكن جزءاً من الأبوكاليبس ذاتها مثله مثل السابق، بل هو إضافة متأخرة تتناول أحداثاً أخرى. وكان اقتراحه يفيد أنّ هذا المقطع كان في الواقع جزءاً من *الصلاة*، أُدخِل في *الأسرار* على يد ناسخين متأخرين، وهو يشير إلى غزوات المغول في القرن الثالث عشر. لكن باير Baer وكاوفمان يرفضان تحديده النوعي هذا، في حين يقبلان بالجزء الأول من نظريته. فالأول يعتبره جزءاً من مسألة أبوكاليبتية عامة، والثاني يعتبره تلميحاً إلى الغزوات السلجوقية في القرن الحادي عشر، رُكّب على وصفٍ في الموضع الخاطئ للخلفاء الأمويين الأربعة.

إن التفسيرين على حد سواء يعانيان من مصاعب واضحة، بل إن الإشارة في المقطع إلى مؤلف *الصلاة* مفتوحة لرفض قوي. والتأكيد الواضح على مجيء المسّيا خلال الحكم الرابع يصعب التوفيق بينه وبين الرواية التاريخية الطويلة التي تتلوه إذا كان الإثنان من عمل مؤلّف واحد، والأمر يوحي بأن لدينا هنا أبوكاليبس مستقلة يرجع تاريخ تأليفها إلى زمن ما بين *الأسرار* و*الصلاة* الأصليتين.

إذا انطلقنا من هذه الفرضية، لا يعود صعباً تحديد هوية الملوك الأربعة. الرجال « القساة والسريعون » الذين يأتون من الشرق للإطاحة بمملكة اسمعيل هم الجيوش العباسية - الموالي والشعوب الخاضعة الثائرون ضد أسيادهم العرب. كنعان هي خراسان. الفرسان (باراشيم) ربما يكونون تورية تعني الفرس، وعبيد الحكام الثائرون (عبده موشليم) هي حتماً تورية تعني أبا مسلم، قائد الحملة الدعائية العباسية. أما ارتداء السواد، الذي فسّره كاوفمان على أنه إشارة إلى القبول السلجوقي بالسيادة العباسية، فهو ينطبق بقوة أكثر على ظهور العباسيين أنفسهم. أشكناز لا تذكر إلا في *الصلاة*؛ فهي في *الأسرار* مصر. وقد اقترح كراوس Krauss أن أشكناز تعني الخزر ويشير إلى أن المفسرين القرائيين للكتاب المقدس فسروا المصطلح على هذا النحو[٣٨] .

تصبح هوية الملوك الأربعة أكثر وضوحاً حين نقارن بين نسختي *الأسرار* و*الملوك العشرة*.

الملوك العشرة	***الأسرار***

(٣٧) *Geschichte*, v, p. 449; vii, p. 449ff.

(٣٨) A. H. Silver. *Messianic Speculation in Israel*, New York, 1927, p. 47 .

أربعة ملوك سوف يقومون	هؤلاء هم الملوك الذين سوف
عليهم، أميران ونائبان:	يقومون منهم:
(١) ... رجل[٣٩] والذي ينصّب	(١) الأول هو عبده موشليم
على العرش ملكاً في حياته، من	كما يقال: « هكذا يقول
السلالة الملكية.	الرب، الخ ».
(٢) الملك الذي يحكم عليهم	(٢) الثاني من سلالة ملكية.
متواضع، له عينان جميلتان	
وشعر ناعم، ويموت بسلام...	
(٣) بعده سوف يقوم ملك	(٣) الثالث سوف يقوم وسط
ثالث وسط الجدل ويرسل	الجدل.
جيوشاً عظيمة إلى الفرات،	
وسوف تسقط كلها في أحد	
الأيام، وسوف يفرّ ويسجن،	

(٣٩) ya` qdnwq . العبارة في المكان الفارغ، والتي لا استطيع أن أجد لها معنىً - عبارة ترد في النص المطبوع ونص ميونيخ. لكن إذا أصلحنا الحرف الأخير ق q إلى س s فسوف يصبح المعنى « إنسان مهرج »، والذي يصعب أن يكون مرضياً.

وطالما هو مسجون سيكون	
هنالك سلام في الأرض، ويحكم	
أخوته في كل الأرض.	
(٤) الملك الرابع سوف يقوم	(٤) الرابع هو شقيق الثاني...
عليهم ويحب الفضة والذهب.	سوف يثور قرن الجنوب الغربي
إنه أسمر اللون وطويل وعجوز	ضد الملك الرابع. وسوف
ونهم[٤٠]، ويقتل أولئك الذين	يرسل جيوشاً كثيرة جداً إلى
يقومون به وينصّبونه على	هناك. في الحرب الأولى سوف
العرش. سوف يصنع خرافاً من	يقوم أبناء الغرب بالغزو وفي
النحاس الأصفر ويحشوها	الحرب الثانية سوف يقوم أبناء
بالفضة والذهب ويخفيها تحت	الشرق بالغزو.
مياه الفرات لحجبها عن	
أولاده... سوف يثور في يومه	

(٤٠) rgrg هي على الأرجح @rgrg .

قرن الغرب وسوف يرسل جيوشاً عديدة إلى هناك ويقتل أبناء الشرق، ويرسل من جديد جيوشاً عديدة، ويأتون ويقتلون أبناء الغرب ويقيمون في أرضهم.	

ثم تنتقل النسختان على حد سواء إلى الحديث عن سقوط غيرون في دمشق ومجيء المسّيا.

وهكذا ينكشف الستار عن الملوك الأربعة - أميران ونائبان - في النصوص الثلاثة حيث نعرف أنهم أبو مسلم، الخليفة السفاح، الثائر عبد الله، والخليفة المنصور، « أخو الثاني ». الصفات الجسدية للخليفتين يدعمها المؤرخون العرب. فالمسعودي يقول، إنّ السفاح كان « طويلاً وجميلاً، بأنف معقوف، ووجه جميل، وشعر أجعد كثيف »[٤١]. كان في الثالثة والثلاثين حين مات. أمّا المنصور، فكان « طويلاً، أسمر اللون، نحيفاً، خفيف اللحية وأسود الشعر »[٤٢]. والمنصور هو الذي أمر بقتل أبي مسلم وأعوانه. وكان سيئ السمعة بين العرب بسبب بخله، الذي أكسبه لقب أبي الدوانق، أي أبي النقود (« أو العملة المصنوعة من النحاس الأصفر »). وصراعاته مع الغرب والجنوب الغربي هي إشارة إلى الثورات السفيانية والشيعية في سوريا وشبه جزيرة العرب.

من كلّ هذا يبدو أن هذه الأبوكاليبس كُتبت في بداية حكم المنصور، وربما في العراق أو في سوريا.

هنالك دليل آخر حول التوقعات المسيانية بين اليهود أثناء حكمه. فكسرة من *الغنيزا* حول آيات قدوم المسّيا[٤٣] تذكر المنصور بالإسم باعتباره حاكم اسمعيل

---

(٤١) تنبيه، ص ٣٣٩ (= Carra de Vaux, p. 436). حول « اتضاع » السفاح، أنظر: آ. ك. دوري، *العصر العباسي الأول*، بغداد، صص ٦٥ ـ ٦٦.

(٤٢) تنبيه، ص ٣٤١ (=Carra de Vaux, p. 439)؛ قارن: الطبري، ٣: ٣٩١.

(٤٣) آز مارموستاين A. Marmostein، « آيات المسيا Les Signes des Messie »، *REJ*، Lii، ١٩٠٦، صص ١٧٦ - ١٨٦، (قارن كاوفمان ص٢٩٤ وص٣١١).

خلال الأيام الأخيرة، وفي بركه د' *رابي اليعيزر* *Pèrqë d'Rabbi Eli'ezer* مقطع شهير، بعد النبوءات حول أفعال أبناء اسمعيل، يصل إلى نتيجة مفادها أن المسّيا سوف يأتي بعد حكم الأخوين. وقد عيّنت هوية هذين الأخوين على أنهما الأمين والمأمون[٤٤]، عبد الملك وأخوه عبد العزيز[٤٥]، بل حتى معاوية وزياد[٤٦]. لكن إذا ما أخذنا هذه المسألة مع دلائل أخرى، يصبح الأرجح أن يكونا السفاح والمنصور. وبحسب الشهرستاني فقد كان آخر ظهور للمسيح اليهودي الكاذب أبي عيسى الأصفهاني خلال حكم المنصور. ورغم أنّ معظم الباحثين يفضلون تاريخاً أكثر تأخراً، بالاعتماد على مراجع أخرى[٤٧]، فعبارة الشهرستاني تعكس على نحو طيّب وجود حركة مسيانية أخرى من تلك الحقبة. لقد كان زمن الآمال المسيانية العريضة التي شجعتها دعاية العباسيين أنفسهم. ففي فارس، أعقب موت أبي مسلم سلسلة من ثورات الإنشقاقيين، التي عادةً ما تحمل صبغة مسيانية. أما في سوريا وشبه جزيرة العرب فقد قاد أولاً أحد مدعي السفيانية ومن ثم محمد النفس الزكية العلوي حركتي ثوريتين مسيانيتين ضد العباسيين، وقد أعلن الأخير مهدياً في المدينة المنورة. وربما أن هذه الرؤيا كتبت أثناء الصراع بين أتباعه والخليفة.

(٦) هذا المقطع هو توسيع لإحدى الأفكار من *الأسرار*، وهو مأخوذ عن الأوصاف التلمودية لآيات مجيء المسّيا. وهو يظهر وكأنه التذييل الإسكاتولوجي للأبوكاليبس السابقة مباشرة.

II

(٧ - ٩)[٤٨] « عدت ثانية إلى صلاتي »... هذه الجملة تقدّم لرؤيا جديدة، والتي نقبل حتى الآن أنها من كاتب *الصلاة* الأخير. وقد اعتبر يلنك الاضطرابات المشار إليها في هذا المقطع والمقاطع التي تليه على أنها تلميحات إلى الصليبيين، وقد قُبل بهذا التحديد عموماً باعتباره مؤكداً. أما مجيء « أبناء الغرب » بجيوش عظيمة لشنّ الحرب ضد « أبناء الشرق »، الهرب والمطاردة إلى مصر، تدمير فلسطين، فهذا كله يتوافق كفاية مع ما سبق، وقد ماثل باير[٤٩] على نحو معقول بين الأحداث الأخيرة هذه وغارات الصليبيين داخل مصر في العامين ١١٦٦ - ١١٦٧ تحت قيادة

---

(٤٤) غريتس، *تاريخ*، ٥: ١٩٨.

(٤٥) س. اساف S. Assaf و ل. آ. ماير L. A. Mayer (محرران)، سفر *هاي* يشوب، القدس، ١٩٤٤، ٢: ٧٠.

(٤٦) سيفر Silver، *التفكير المسياني* *Messianic Speculation*، صص ٤٠ - ٤١.

(٤٧) بشكل رئيس القرقساني. لكن من أجل رأي معارض، أنظر: ي. فريدلاندر I. Friedlander، « دراسات يهودية عربية Jewish Arabic Studies»، *JQR*، n.s.i، ١٩١٠، صص ١٨٣ - ٢١٥.

(٤٨) مقطع جديد من نص يلنك.

(٤٩) *نبوءة مسيانية يهودية* *Eine jüdische Messiaprophteie*، صص ١٦٢ وما بعد.

أملريك Amlric. وفي أعقاب هذا، يزعم أنه يعيّن في الفقرة التاسعة لاحقاً الحملة الصليبية الثالثة.

للوهلة الأولى يبدو هذا التعيين مرضياً كفاية. ورغم أنه لا يمكن مواءمة كل شيء في النص داخل ذاك الإطار التاريخي الخاص، لايمكن لنا حساب التفصيل والدقة فيما هو في نهاية الأمر رواية أبوكاليبتية وليست تاريخية. مع ذلك تبرز أسئلة بعينها، نرغب بإجابات عليها. « لماذا لا توجد إشارة إلى أن « أبناء الغرب » مسيحيون؟ ». فنحن كنّا نتوقع إشارة ما إلى «أدوم» أو «عيسو» أو أحد الأسماء المستعارة المعتاد أن تطلق في هذا الأدب على روما أو خلفائها المسيحيين. لماذا يصل الصليبيون إلى مصر قبل فلسطين وإلى الاسكندرية قبل القاهرة - أمر يعاكس في الحالتين النظام التاريخي؟ لماذا أقحم المقطع المتعلق «بملك الهدوء الضاري » (الفقرة ٨) والذي يفسره كلٌّ من باير وكاوفمان[٥٠] على أنه مسألة أبوكاليبتية عامة مع إشارة ربما إلى اضطهاد الألموهادس Almohades، بطريقة يبدو من الواضح تماماً أن لا علاقة لها بالموضوع بين غارات أملريك والحملة الصليبية الثالثة؟ وأخيراً لماذا يأتي الوصف الذي لا تخطئه العين للحملة الصليبية الأولى (اعترف بها كل من باير[٥١] وكاوفمان[٥٢] على هذا النحو) **بعد** الحملة الصليبية الثالثة وقبل النهاية الإسكاتولوجية مباشرة؟

يمكن تفسير هذه الصعوبات كلها، وقد حصل ذلك بالفعل، إمّا بإعادتها إلى ضبابية أبوكاليبتية أو إلى تحريف نصي؛ وربما تكون هذه الإجابة مقبولة فعلاً، لو لم تكن هنالك مجموعة أخرى من الظروف التاريخية والتي تناسب نصّنا بدقة أكثر، مع حاجة أقلّ بكثير إلى الإصلاح أو إعادة الترتيب.

حين قرأ يلنك وخلفاؤه في نصّنا عن الجيوش من الغرب التي ستغزو الشرق، وقعوا في خطأ نتجت عنه أخطاؤه اللاحقة كلّها. فقد افترضوا أنّ الغرب لا يمكن أن يكون غير أوروبا المسيحية وأنّ الشرق هو العالم الإسلامي، وأنّ الغزاة بالضرورة هم الصليبيون. لكن اعتبار أنّ المواجهة بين المسيحية والإسلام مواجهة بين الغرب والشرق إنّما هي مسألة عرف أوروبي، وربما أنّه عرفٌ حديثٌ نسبياً. فالمجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، الممتد حتى شواطئ المغرب وإسبانيا الأطلسية، لم يتخيل أراضي المسيحيين باعتبارها «الغرب»، بل، إذا ما صنّفنا الأمر جغرافياً، باعتبارها « الشمال »، ويصعب أن تكون المسألة غير ذلك. وقد استعمل المصطلح غرب - بالعربية **مغرب** وبالعبرية **معرب** - عموماً لتسمية إقليم محدد هو شمال إفريقيا وأحياناً إسبانيا. وهكذا فعلينا أن نبحث هناك، وليس في أوروبا، عن مصدر «

---

(٥٠) *Mid.G.*, p. 277 .
(٥١) المصدر قبل السابق، ص ١٥٦.
(٥٢) المصدر قبل السابق، صص ٢٨١ وما بعد.

أبناء الغرب » في نصّنا. وليس من الصعب أن نجد الإجابة. فعام ٩٦٩ غزت الجيوش الفاطمية من تونس مصر واحتلتها، وأعقب نصرهم هذا تقدمهم باتجاه فلسطين. وفي ضوء هذه الأحداث وذيولها، يصبح نصّنا واضحاً ومتماسكاً. فانسحاب الأخشيد شرقاً إلى الإسكندرية، إنتصار الفاطميين قرب تلك المدينة وتقدمهم الظافر نحو الفسطاط (= مصر)، ثم غزوهم اللاحق لفلسطين تحت قيادة جوهر الصقلي - هذا كلّه يصبح مفهوماً على نحو واضح في نصّنا. أما « ملك الهدوء الضاري » الذي يحكم ثلاث سنوات ونصف السنة فهو القرامطة، الذين نهبوا جنوب سوريا وفلسطين في الأعوام ٩٧١ - ٩٧٤. وعن طريق مصادرة أملاك الأغنياء وإلغاء الأعياد لصالح جهرية بالإيمان متبادلة، كانوا سيضعون موضع التنفيذ، إذا لم يكن عقائد طائفتهم الحقيقية، فعلى الأقل تلك التي نسبت إليهم من قبل الآراء المعاصرة لهم. والمقطع الذي يتلو يعكس الصراع المشوش والمتعدد الأطراف في فلسطين بين الفاطميين، القرامطة، القائد التركي ألب أتكين، وبدو بني طي الفلسطينيين تحت قيادة ابن الجراح[٥٣]. أما غزو الأدوميين الذي يعقب النص السابق فهو يعني غارات الإمبراطور البيزنطي يوحنا بن شمشقيق[٥٤] في سوريا وفلسطين بين الأعوام ٩٧٤ - ٩٧٦. وربما يكون هذا هو الحدث الأخير الذي أدى إلى كتابة الأبوكاليبس. كونه منذ الأزمنة القديمة كان أيّ انتصار روماني في فلسطين يُعتبر إحدى علامات قدوم المسيّا.والحاخام البابلي هاي غاؤن (مات عام ١٠٣٨)، على سبيل المثال ، في فتوى له حول قدوم المسيّا، يقول هذا بوضوح تام حيث يلاحظ: « لذلك، حين نرى أدوم تسود في أرض اسرائيل، نعتقد أن خلاصنا قد بدأ»[٥٥]. وحين رأى مؤلف هذه الأبوكاليبس التي تعود إلى القرن العاشر تقدّم البيزنطيين الذي لا يقاوم عبر سوريا نحو فلسطين، والذي أعقبه غزو مصر والاصطدام في فلسطين مع الفاطميين والقرامطة - الطرفان يقدّمان على حد سواء دعاية مسيانية لرواياتهم تصادفياً - اعتقد أن النهاية كانت تقترب. وتستمر قناعته بالخلاص الوشيك وأقسام من استنتاجه الإسكاتولوجي حتى في النسخة المعاد تحريرها بحيث أدخل ذلك الكاتب النهائي *للصلاة* في نصه الخاص.

يمكن أن نجد في أعمال أخرى أصداء لهذه الأحداث، وفي بعض الحالات يمكن أن نجد حتى أصداء الأبوكاليبس التي يعتمد عليها نصّنا. فمدراش *الملوك العشرة* لا ينتهي، مثل *الأسرار*، بحكم المنصور، لكنه يضيف مقطعاً آخر له علاقة واضحة بنصّنا:

---

(٥٣) المرجع الرئيس المعاصر لهم بالنسبة لهذه الأحداث هو ثابت بن سنان، الذي أعد الآن نسخته. مراجع هامة أخرى تتضمن ابن القلانسي (صص ١ - ٢١)؛ ابن الأثير، ٨: ٤٥٢ - ٤٥٣، ٤٦٩ - ٤٧٢، ٤٨٣ - ٤٨٥؛ المقريزي، *اتعاظ*، تحرير Bunz، لايتبسغ، ١٩٠٩، صص ١٠٠ و١٣٠. قارن: De Goeje, *Mémoire sur les Carmathes*, Leiden, 1886, pp. 187 - 195 .

(٥٤) أنظر: Schlumberger, *L' épopée Byzantine*, Paris, 1896, i, 280 - 308 .

(٥٥) النص موجود عند كاوفمان، ص ١٣٥. من أجل عقائد مسيحية أخرى مشابهة، أنظر: A. A. Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, Madison, 1928, I, p. 290.

« ... سوف يأتي أبناء الغرب ضد أبناء الشرق كي يقضوا عليهم ويدمّروهم، وسوف يهرب الناجون وسوف يعبرون فلسطين وسوف تصبح كلّها في أيديهم. ومملكة أبناء الغرب سوف تقف راسخة في مصر ومن النيل إلى الفرات.

وبعد هذا كله، ولو أن إسرائيل لا تستحق، سوف يقوم ملك الهدوء الضاري ويقتل ملك أبناء الشرق في شهر آب، ويصدر قرارات ضد إسرائيل ويلغي الأعياد والسبوت، كما يقال: « وينوي أن يغير الأزمنة والشريعة، وسيسلمون إلى يده، إلى زمان وزمانين ونصف الزمان » (دا ٧: ٢٥). « زمان » هو سنة، « زمانين » هو سنتان، و « نصف الزمان » هو نصف سنة.

سيقوم ملك والذي اسمه موشيب[٥٦]، وسوف يُحيي كلّ أولئك الذين يعبدون الأوثان وسيكون حانقاً على العهد المقدس، وسوف يحكم تسعة أشهر » .

ويمضي *الملوك العشرة* مباشرة إلى مسألة نزول الشيطان ومضاجعته للتمثال في روما.

من جديد نقول، إنه في مدراش *لقح طوب* لوطبيا بن اليعزر (القرن الحادي عشر)[٥٧]، نجد مقطعاً، يعتمد حتماً على نصوص أقدم منه، حول مجيئ المسّيا، ويتضمن ما يلي: « وسوف يتعاظم غرور أبناء الغرب وسوف يتملكون المملكة بسلام[٥٨]. سوف يأتون إلى مصر ويأخذون الجميع أسرى. وفي تلك الأيام سوف يقوم ملك الهدوء الضاري على شعب فقير ومعدم، وسوف « يستولي على الملك بالخداع » (دا ١١: ٢١). وعن ذلك الزمان، قال اشعياء: « هلم يا شعبي، وادخل مخادعك، إلخ. » (اش ٢٦: ٢٠). قال الحاخامون: « أمر الحاخام حيّا أبناء جيله بقوله: حين تسمعون أنّ ملك الهدوء الضاري قد ظهر، لا تقيموا هناك، لأنه سوف يأمر بقتل كلّ من يقول: « واحد هو إله العبرانيين » . وهو يقول: « دعونا نكون جميعاً لغة واحدة وأمة واحدة » ، ويبطل الفصول والأعياد والسبوت والأشهر الجديدة ويبطل الشريعة في إسرائيل، كما يقال: « وينوي أن يغير الأزمنة والشريعة » ، وسيسلمون إلى يده، إلى «زمان وزمانين ونصف الزمان » . « زمان » هي سنة، « زمانين » هو سنتان، و « نصف الزمان » هو نصف سنة. قالوا له: « سيدي، إلى أين سنهرب؟ » فأجابهم: « إلى الجليل الأعلى، كما يقال: « لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم، يكون الناجون » (يوء ٣: ٥)، و « في جبل صهيون يكون ناجون، ويكون المكان مقدساً» (عو ١٧)».

---

(٥٦) by`wm .

(٥٧) النص موجود عند يلنك ٣: ٢٤١ (قارن: كاوفمان، صص ١٠٢ - ١٠٣).

(٥٨) قارن: دانيال (١١: ٢١): « ويقوم مكانه حقير لم يعط جلال الملك » - ملاحظة للمترجم العربي.

ثم يحكي النص السابق كيف تتجمّع إسرائيل في الجليل الأعلى ومن ثم تتبع المسّيا، ابن يوسف، إلى القدس.

هذان المقطعان مرتبطان حتماً بنصّنا، وربما بالأبوكاليبس التي من القرن العاشر والتي اعتمد عليها المؤلف الأخير *للصلاة*. يتضمن المقطع الثاني تفصيلاً أو تفصيلين ليسا في نص *الصلاة*، لكنهم قابلان للتطبيق بسهولة على القرامطة، وربما أنهما مأخوذان من نصّ أصلي ضائع. أما اختفاء التلميحات إلى غارات الشمشقيق من النسخ الأخيرة فهو غير مفاجئ؛ فالكتّاب المتأخرون، الذين لم يعودوا على اطلاع على هذه الأحداث، سوف يأخذونها كجزء من حروب المسّيا النهائية، ويدمجونها في اسكاتولوجياتهم الخاصة.

هنالك أيضاً أصداء أخرى أكثر بعداً. ففي نص مسياني من تاريخ وأصل غير مؤكدين[٥٩] نجد بين علامات النهاية ما يلي: «سوف يقوم ملك الهدوء الضاري ويصدر قرارات شريرة في مملكته، وسوف يقوم ضده ملك عظيم في الاسكندرية ومعه جيش. سوف يكون هناك شر هائل في العالم ولسنوات ثلاث ونصف السنة سوف يحكم ويثور. وسوف يسقط أمراء أدوم وسوف يكون هناك عشر حروب وسوف تنتصر من ثم إسرائيل، الخ. » . وما من شك أن بحثاً أعمق في أدب العصور الوسطى العبراني سوف يكشف عن موازيات أخرى. في الوقت ذاته فمن الأهمية بمكان أن نقاشات مجيئ المسّيا المكتوبة قبل القرن العاشر - مثلاً: فصل سعاديا المتعلق بالفداء، أبوكاليبس إيليا وزربابل - لا تشير إلى فترة السنوات الثلاث ونصف السنة للتشارك العقائدي ولا إلى غزو مصر من شمال أفريقيا.

يمكن أن نذكر هنا موازياً آخر، موجوداً في نصّ قد يعكس بالفعل الحوادث ذاتها، مع أنه قد لا يمتلك علاقة بنصّنا، ألا وهو *أبوكاليبس دانيال*[٦٠] اليهودية الفارسية، والتي بعد أن تصف سلسلة من الحكام يبدو واضحاً أنهم ينتهون بالمأمون، تقدم لنا وصفاً للحروب النهائية، التي استهلها حاكما الغرب وملك الرومان. يأمر ملك الغرب الأول بارتداء الثياب البيض ويلغي السواد. كذلك يفرض الثاني ارتداء الثياب البيض، يشنّ حروباً على حكام الشرق والغرب، ويسبب دماراً عظيماً، أما ملك الرومان فيرتدي ثياباً حمراء، ويحارب ضد أبناء اسمعيل، « وصولاً إلى دمشق »[٦١]. لقد اعتُبِرَ ارتداء الثياب البيضاء في فارس العباسية عموماً رمزاً للثورة على الخلافة العباسية، ويمكن بالتالي أن يكون « الملكان » الفاطميين والقرامطة. وهكذا سيكون ملك الرومان الذي يصل إلى دمشق هو الامبراطور يوحنا بن الشمشيق. وربما تكون ثيابه الحمر تلميحاً إلى اللون الأرجواني الإمبراطوري، أو ربما إشارة إلى أدوم

---

(٥٩) النص موجود عند يلنك، ٣: ٧١. وهو يقترح (ص xix) أصلاً فارسياً له، من الحقبة الغاؤنية.

(٦٠) نشرها هـ. تسوتنبرغ H. Zotenberg، « قصة دانيال Geschichte Daniels »، *Archiv für wissenschaftliche Erforschung des Alten Testaments*, i. 1867 - 9, pp. 385 - 427.

(٦١) المصدر السابق، صص ٤١٢ - ٤١٣.

(أدوم = أحمر)، وقد أدخلت لإكمال المسألة اللونية. والتفسير الأقل احتمالاً هي أن تكون تلميحاً إلى الأصل الأرمني المزعوم للاسم شمشقيق[٦٢].

يمكن لنا أن نشير إلى النقاط التالية في هذا التفصيل:

(٧) « أبناء الشرق في أرضهم » - الأخشيد يحتل موقعاً في الصحراء الغربية. هذه العبارة الهامة لا تتناسب مع هوية الصليبيين، وهكذا فكاوفمان صرف النظر عنها باعتبارها نوعاً من التحريف.

« إذا وضعت لحماً على النار، الخ ». ربما أن هذا مثلٌ يعني هنا أنه حين تحدث تلك الغارات العظيمة، لا يمكن لإسرائيل أن تأمل بالنجاة سالمة. الكلمات التي تتلو ذلك تنصح اليهود بأن يتجنبوا التورط في الأمر، بأقصى ما في استطاعتهم.

« سيعبرون من فلسطين، الخ ». الجيوش الفاطمية تغزو فلسطين وتحتلها.

(٨) « ثلاث سنين ونصف ». في شهر ذي القعدة ٣٦٠هـ / آب - أيلول ٩٧١م، أخذ القرامطة بقيادة حسين بن أحمد بن بهرام دمشق، وواصلوا سيرهم ليغزوا فلسطين ومصر. وبعد صراع مرير صدّتهم القوات الفاطمية وطردتهم عام ٣٦٣ / ٩٧٣ - ٩٧٤، واحتلت تلك القوات دمشق لمرحلة مؤقتة. ولعبت العصابات القرمطية دوراً ما في اضطرابات عامي ٣٦٤ - ٣٦٥ / ٩٧٤ - ٩٧٦[٦٣].

لا يوجد بحوزتي أي دليل من أية مصادر أخرى حول إجراءات خاصّة معادية لليهود قام بها القرامطة، لكن يبدو مرجحاً أن الكاتب يشير هنا إلى المعاناة العامة لشعب سوريا خلال عمليات السلب والنهب القرمطية، وربما أيضاً إلى الدعوة القرمطية للناس من كل الأديان كي ينضموا إليهم[٦٤].

« إلى الجليل الأعلى » - تجمّع إسرائيل في الجليل عشية فدائهم هي موضوعة متكررة في الأبوكاليبسات اليهودية.

« في يومه سيكون هنالك نزاع، الخ ». إشارة إلى الصراعات المختلطة في فلسطين بين الفاطميين، القرامطة، بني الجراح، البيزنطيين، الترك، الخ.

« وسوف يسلمون إلى يده، الخ ». هذه الآية مفضلة مع جملة تقول، « حاسبو النهاية »، أي، أولئك الذين يحاولون حساب تاريخ قدوم المسيا عن طريق التلاعب بالآيات الكتابية.

« ثم سيقوم ملك، الخ ». ربما يكون المقصود بذلك هو المعز، الذي ينهي الإرهاب القرمطي ويعيد النظام. « الكفر » هي بالطبع إشارة تهكمية إلى ديانة المعز ذاته. أما « الأشهر الثلاثة » فهي ربما تشير إلى فترة الانقطاع القصيرة للسلطة

---

(٦٢) من كلمة أرمنية تعني الحذاء الأحمر. أنظر: Schlumberger, *L' épopée Byzantine*, p. 4, n. 2.

(٦٣) قد تكون « ملك الهدوء الضاري » تلميحاً مباشراً إلى الكلمة قرمطي، والتي يمكن أن تكون مشتقة من قرمط أي أن يجهم وجهه أو يغضنه. قارن: لويس، *أصول الإسماعيلية* *The Origins Of Ismailism*، كامبريدج، ١٩٤٠، صص ٨٢ - ٨٣. وأنا أدين بهذا الاقتراح للدكتور د. س. رايس.

(٦٤) النص الذي يتضمن دعوة كهذه والذي يعود إلى تاريخ لاحق نجده محفوظاً في *رسالة السفر إلى السادة*، وهي رسالة درزية إلى قرامطة البحرين، مكتوبة عام ١٠٥٨ (مخطوطات باريس العربية، ١٤٢٤ وما بعد، ١٧٢ - ١٧٣).

الفاطمية في دمشق وفلسطين بين طرد القرامطة ومجيء ألب أتكين. وفي نسخة *الملوك العشرة* يحكم المصلح تسعة أشهر.

(٩) « سهل عكا ». لم يماثل باير وكاوفمان بشكل غير طبيعي بين هذا الصراع والمعارك حول عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة. لكن ليس من الضروري أن نجد أي حدث محدد لأجل هذه العبارة. فمعركة في سهل عكا هي مقولة متكررة في الأبوكاليبس اليهودية، وتظهر على نحو مبكر أي منذ أيام القصيدة القديمة في *ذلك اليوم*، التي يعتقد الآن عموماً أنها كتبت في حقبة الغزوات العربية:

« سوف يتحارب أدوم واسمعيل في سهل عكا

حتى تغوص الخيول في الدم ويكونون مسعورين »[٦٥].

ووفقاً لشمشقيق ذاته، في رسالته إلى الملك الأرمني أشوت Ashut الثالث[٦٦]، فقد ذهب هو وجيشه باتجاه الجنوب من دمشق نحو بحيرة الجليل، وأخضع طبرية والناصرة. وعيّن حكاماً لبيسان، قنسرين، وعكا، وأُخضع حكام تلك المدن، ومشى من ثم إلى قيصرية في الساحل ، وأخذ المدينة. ثم سار البيزنطيون باتجاه الشمال واحتلوا بيروت بعد مقاومة ضارية من قبل الحامية الفاطمية.

« سوف يأتي الآشوريون إليهم، الخ ». الآشوريون مطلوبون من قبل النبوءات. فالتعامل معهم مسألة عرفية. ومع نهاية عام ٩٧٤، وصل إلى دمشق مجموعة من المماليك الأتراك تعد نحواً من ثلاثمئة شخص من العراق، حيث فرّوا نتيجة لصراع داخلي في المخيم البويهي. والدمشقيون، المنزعجون من سلب الفيالق الفاطمية ونهبها، دعوا ألب أتكين، القائد التركي، ليتولى السيطرة على المدينة ويعيد النظام[٦٧]. وهذا ما فعله.

« سوف تأتي سفن، الخ ». وهي القوات البيزنطية، المدعّمة ربما بسلاح البحرية، التي احتلت الحصون الساحلية وطوقتها، و «هشموا فخارة » المقاومة العربية. وكان عند بني إسرائيل بالتالي سبب وجيه كي يفرّوا من أمام التقدم البيزنطي.

« سهل مجدّو ». قد تكون هذه المعركة جزءاً من رؤيا النهاية، أو أنها تشير على نحو بديل إلى نكسة بيزنطية عشية مغادرتهم. وحول مشاركة إسرائيل، لا بد أن نتذكر أن يهوداً من أمثال يعقوب ابن كلّس كانوا بارزين في المعسكر الفاطمي، ولدينا إشارة من العام ٩٨١/٣٧١ إلى قوة فاطمية في فلسطين تحت قيادة اليهودي منسّا[٦٨].

« وسوف يعذبون الآشوريين، الخ ». ربما أن هذا إشارة إلى غارات البيزنطيين على بلاد مابين النهرين.

---

(٦٥) سفر *هاي يشوب*، ٢: ٧٠؛ كاوفمان، صص ١٥٤ - ١٦٠.

(٦٦) موجودة في: *Recueil des Historiens des Croisades*, Documents Arméniens, i 13 - 20 .

(٦٧) ثابت بن سنان، عام ٣٦٤؛ ابن الأثير، ٨: ٤٨٣.

(٦٨) ابن القلانسي، ص ٢٥.

« سوف يأتي أبناء آشور، الخ ». وصف تكميلي لامتداد سلطة ألب أتكين بعد رحيل البيزنطيين. وربما أن إسرائيل هنا هي خطأ والمقصود بالأمر اسمعيل، وهي تشير إلى البدو الفلسطينيين، الذين عادت إليهم « المملكة » تقريباً، تحت قيادة بني الجراح، في ذلك الوقت.

« أبناء إيطاليا ». هذه الإشارة تشكّل المشكلة الجدية الوحيدة التي تواجه تحديد الهوية الجاري تقديمه. وإذا كان الباقي صحيحاً، فربما يكون هذا تحريفاً نصّياً، مردّه تصحيحٌ مضلّل لاسم غير مألوف إلى إسم مألوف من قبل ناسخ متأخر. الكلمة في نص يلنك هي aylAAfya. فهل يمكن أن هذه كانت ayyf (طيّا) - اسم شائع للعرب في السريانية والعبرانية المتأخرة، وهو إضافة إلى ذلك اسم للقبيلة العربية المهيمنة في فلسطين في ذلك الزمان؟.

« وللحال، الخ ». تتضمن بقية هذا الجزء بقايا القسم المسياني من الأبوكاليبس التي تعود إلى القرن العاشر، والتي حرّرها على الأرجح الكاتب الأخير. المادة هنا هي من النوع المألوف، ولها موازيات عديدة في أعمال أبوكاليبتية أخرى. أما قصة رفض ملك من سلالة داود والصراع الناتج عن ذلك فقد يكون انعكاساً لحركة مسيانية مجهضة في ذلك الزمن.

III

(١٠) « وعدت إلى *الصلاة*، الخ ». تقدّم هذه العبارة ثانية رؤيا جديدة، وهذه المرة للكاتب النهائي *للصلاة*. ويقود رؤياه حتى النهاية وصفه الحيوية لتقدم الصليبيين وأخذهم للقدس، الذي يشار إليه في مقدمته أيضاً. وكل سطر يوحي برعب شاهد عيان، وآماله بالخلاص الوشيك.

« سوف يأتون إلى أورشليم، الخ ». من غير الوارد على الإطلاق أن يلتمس اليهود الهاربون من تقدّم الصليبيين مأوىً لهم في أورشليم. ويشهد ألبرت الذي من ايكس Albert of Aix على مشاركة اليهود في الدفاع عن أورشليم[٦٩] ، حيث يخبرنا كيف أن يهود حيفا، « in moenibus armis exsurgentes, multum in defensione obstiterunt... Judaei cives, commixtis Sarracenorum turmis, sine dilatione viriliter resistentes, a turri oleum, picem ferventem, ignem et stuppas opposuerunt... »: « في قلاع عديدة، حيث كانوا يدافعون بعناد... مواطنون يهود، مختلطون مع السرسنيين [تسمية قديمة للمسلمين] دافعوا برجولة كبيرة، من الأبراج، بوساطة الزيوت، الإسفلت المغلي، والنار والكتان ».

« الأسباط أتوا ». لقد دعم الإنهيار الثابت للسلطة الفاطمية خلال القرن الحادي عشر عودة ظهور القبائل العربية البدوية وشبه البدوية في سوريا وفلسطين، والتي كان العديد منها قادراً على خلق إيالات مستقلة في أجزاء مختلفة من المنطقة. وكانت مجموعة طي في الجنوب تتحدى منذ زمن طويل السلطة الفاطمية في فلسطين، والفوضى في العالم الإسلامي في هذه الحقبة أعطتهم فرصاً جديدة.

---

(٦٩) *Historia Hierosolymitana*, vii, chapter 22 and 25 . قارن: سفر *هاي* يشوب، ٢: ١٢٩.

IV

تتضمّن البقية رؤيا الكاتب الأخير للنهاية. فشخصياته وأحداثه مألوفة في الأدب الأبوكاليبتي اليهودي عموماً. وقد حاول باير وكاوفمان أن يجدا أساساً تاريخياً للمقطع الأول. فهما يريان صلاح الدين في « ملك مصر » الذي يقتل في طبرية ودمشق وعسقلون، ويحدّدان هوية نحميا المذكور في النص على أنه المسيح الكاذب داود ألروي David Alroy. لكن الصعوبات في طريقة تحديد كهذا ضخمة. فليس هنالك أيّ دليل على وجود أيّ رباط بين صلاح الدين وألروي، وليس من المؤكد إطلاقاً بأن مسيرتيهما الحياتيتين كانتا متزامنتين. أكثر من ذلك، فقد عمل ألروي في الشرق، بعيداً عن مسرح هذه الأحداث. كذلك فإن قائمة المدن المغزوة لا تنطبق على غارات صلاح الدين. وبشكل إجمالي يبدو الأكثر ترجيحاً أن نحميا بن حوشئيل المذكور في نصّنا، كعدو المسيح أرميلوس، هو شخص أبوكاليبتي، استعير، مع زخارفه، من رؤى أقدم. وهكذا فمن المحتمل أنّ الخلفية التاريخية للمقطع هي حركة مسيانية يهودية ترجع إلى الحقبة الصليبية الأولى. حدث استثنائي كهذا، والذي صاحبته معاناة لإسرائيل، يصعب أن يفشل في إحياء الآمال المسيانية بين اليهود، ولدينا إشارات عديدة عن حركات مسيانية في ذلك الوقت بين يهود أوروبا، بيزنطة، وفلسطين[٧٠].

---

(٧٠) أنظر: Silver, *Messianic Speculation* pp, 77 - 78، حيث تعطى مراجع عديدة.



النص الثاني

في ذلك اليوم

بقلم: برنارد لويس

قصيدة أبوكاليبتية يهودية حول الغزوات العربية

القصيدة العبرية التالية نجدها محفوظة في إحدى كسرات *الغنيزا* من مجموعة شختر Schechter، في معهد اللاهوت اليهودي في أمريكا. وكان أول من نشرها لويس غنزبرغ Louis Genzberg عام ١٩٢٨[١]. وهي مكتوبة على ورقة مفردة، ١١ × ٨ سم، بالخط الرباني الشرقي.

القصيدة تأخذ شكل نبوءة أبوكاليبتية، تصف زمن مشاكل ومعارك في فلسطين قبل مجيء المسّيا. وهي تتألف في أحد أجزائها من مادة مشتركة عند هذا النمط من الأدب، وفي جزئها الآخر - كما هي العادة في هذا النوع من الكتابات - من نبوءة حصلت ما بعد الواقعة تتعلق بالأحداث الجارية. إن تحديد هذه الأحداث يشكل مشكلة ضخمة - وهامة - في مثل تلك النصوص.

لم يتردد لويس غنزبرغ، مكتشف تلك الوثيقة والمحرّر الأول لها، في نسبها إلى حقبة الحملة الصليبية الأولى، وبشكل أكثر تحديداً إلى العام ١١٠٤م، حين أخذ الصليبيون عكا. واعتقد أنّ « ملك الغرب وملك الشرق »، كانا يمثلان بوضوح الصليبيين والمسلمين، مثلما هي الحال بالنسبة « لأدوم وإسمعيل ». ومن معارك عديدة لأجل عكا في الحقبة الصليبية، اختار غنزبرغ هذه المعركة، كونها المعركة الوحيدة التي يمكن ربطها مع صراع معاصر لها للإستيلاء على إنطاكية، مذكور أيضاً في القصيدة.

اعتمد تفسير غنزبرغ على افتراض شائع لكنه خاطئ - افتراض يقول إنّ « الغرب »، بالنسبة للكتاب الشرق أوسطيين في العصور الوسطى، كان يعني أوروبا أو المسيحية. لكن هذا غير صحيح. فعادة التحدث عن المواجهة بين الإسلام والمسيحية على أنها مواجهة بين « الشرق » و « الغرب » هي عادة ذات أصول أوروبية شبه معاصرة، ولا توجد لها سابقات في الكتابات الإسلامية أو اليهودية من العصور الوسطى[٢]. وما أن نترك جانباً افتراضاً كهذا، حتى نرى أن تاريخاً أكثر قدماً - أي زمن الغزات العربية الأولى - سيكون مناسباً أكثر لتعاقب الأحداث كما هي مقدّمة في القصيدة. لقد اقترح ذلك التاريخ جوزيف ماركوس، الذي أصدر طبعة

---

(١) ل.غنزبرغ، *دراسات غنيزا في ذكرى الدكتور سولومون شختر* *Genizah Studies in memory of doctor Solomon Schter*، نصوص ودراسات لمعهد اللاهوت اليهودي في أميركا ، المجلّد ٧ ، نيويورك١٩٢٨ ، ٣١٠-٣١٢.

(٢) قارن:*النص السابق*،تفسير القسم الثاني.

محسّنة من النص عام ١٩٣٣[٣] . واستخدم ماركوس البراهين الأدبية إضافة إلى البراهين التاريخية. فالسطر الأول من القصيدة يتطابق حرفياً مع سطر من إحدى مجموعات البيوطيم (قصائد ليتورجية) التي اكتشفها هو ذاته في *الغنيزا*، وقد عزاها إلى البيطان الشهير العازار بن ها-قلير.

البرهان الأدبي ليس حاسماً. فمحاكاة وإعادة محاكاة سطور وعبارات من إحدى الكسرات الأبوكاليبتية لكسرة ابوكاليبتية أخرى أمر متكرر وهو بحد ذاته ليس دليلاً يمكن اعتماده عموماً. كذلك فإن تاريخ ها-قلير محط نزاع، ومع أنّ مراجع عديدة تقول إنّه عاش في القرن السابع، إلا أنّ هذا غير مؤكّد بالمطلق. لكن البرهان التاريخي أكثر قوة، ولا يترك شكّاً بأن القصيدة أُنتجت خلال حقبة توقع مسياني سبّبته الأحداث الأبوكاليبتية للغزو العربي. على ضوء هذا التفسير، فإن معركة « ملك الغرب وملك الشرق » تشير إلى آخر معركة عظيمة بين بيزنطة وفارس، وتنتهي - على نحو صحيح - بنصر بيزنطي. ثم يأتي غزو فلسطين من قبل العرب وهزيمة البيزنطيين وطردهم. هذه الأحداث تحديداً هي التي ألهبت الآمال المسيانية عند المؤلّف، وبدت له وكأنّها تنذر بالقدوم الوشيك للمسّيا. ولابد من الافتراض بأن القصيدة أُلّفت خلال الإنتصار العربي أو بعده مباشرة. وبما أنه لم يذكر سقوط القدس أو قيصرية، يمكن أن تكون القصيدة سبقت حصار هاتين المدينتين.

---

(٣) J.Marcus,"Rabbi El'azar be-Rabbi Qalir u-fiyytav hahadashim",in *Horeb* i (1933-1934),New York,21-29;idem,*Litugical and Secular Poetry of the foremost mediaeval poets from the Genizah collection in the Library of the Jewish Theological Seminary of America*,*Liturigical Poetry*,Book i , New York, 1933,28-29.
من أجل طبعات لاحقة للنص وتحاليل له، أنظر: ي. ابن شموئيل (كاوفمان). مدرشه غئولا، تل ابيب، ١٩٤٣، ١٥٤ - ١٦٠؛ س. أسّاف ول. ماير، سفر *هايشوف*، ٢، القدس ١٩٤٤، ٧٠؛ ب. دي - نور، *تولدوت يسرائيل*، v، *يسرائيل با-غولا* i/i (طبعة ثانية محققة)، تل ابيب، ٣٤ - ٣٦.

النص التالي هو ترجمة لتلك القصيدة:

في ذلك اليوم حين المسّيا، ابن داود، سوف يأتي

إلى الشعب المُداس

سوف تُرى هذه الآيات في العالم، وسوف تُظهر:

الأرض والسماء سوف تذويان،

والشمس والقمر سوف يُشوهان،

والساكنون في الأرض(٤) سوف يأخذون وضعية الصمت.

2

ملك الشرق وملك الغرب

سوف يتطاحنان أحدهما ضد الآخر،

وجيوش ملك الغرب سوف تحكم قبضها في الأرض(٥).

2 2

وسوف يظهر ملك في أرض يقطان(٦)،

وسوف تأخذ جيوشه الأرض،
سوف يحاكم ساكنو العالم،
وسوف تمطر السماوات غباراً على الأرض،
وسوف تنتشر الريح في الأرض(٧).

2 2 2

سوف يُمرض يأجوج ومأجوج أحدهما الآخر،
ويشعل الرعب في قلوب الأغيار.

2 2 2 2

وسوف تتحرر إسرائيل من كل ذنوبها،
وسوف لن تُجعل بعيدة أكثر من ذلك عن بيت الصلاة.
سوف يُغدق عليهم بالبركات والتعزيات،
وسوف يُنقشون في سفر الحياة.
لن يعود هنالك المزيد من الملوك من أرض أدوم(٨)،
وسوف يثور شعب أنطاكية ويقيم السلام(٩)،
وسوف تُواسَى معوزيا(١٠) وسامريا،
وسوف تُرى الرحمة لعكا والجليل.
سوف يتحارب الأدوميون والإسماعيليون في سهل عكا(١١).

---

(٤) فلسطين.
(٥) تشير هذه السطور الثلاثة إلى الصراع بين هرقل والفرس، والذي انتهى بسيطرة قوية للبيزنطيين على فلسطين.
(٦) أي شبه جزيرة العرب. قارن: سفر التكوين ١٠: ٢٦ وما بعد. جرت العادة على مماثلة يُقطان مع قحطان العربي، والذي هو الجد المفترض لقبائل جنوب شبه جزيرة العرب.
(٧) إشارة إلى الأوبئة التي ألمت بفلسطين وسوريا في هذه الحقبة.
(٨) حكم أدوم - لقب عبراني شائع يطلق على روما وبيزنطة - يُنهى أخيراً، ويترك الحكام البيزنطيون البلد.
(٩) استولى الفرس على أنطاكية عام ٦٠٢ وعام ٦١١، ثم استردها البيزنطيون، وبعدها أخذها العرب بين عامي ٦٣٧ - ٦٣٨.
(١٠) طبرية. تبدو في ذلك إشارة ضمنية إلى أن المستوطنات اليهودية في الشمال سوف تنجو من السيطرة البيزنطية، ولا تتأثر بالحروب.

حتى تغوص الخيول في الدم وتصبح مسعورة.
سوف تُرجم[12] غزة وبناتها
وسوف تُضرب عسقلون[13] وأشدود بالرعب.
سوف تخرج إسرائيل من المدينة[14] وتستدير نحو الشرق،
ولا تذوق خبزاً لخمسة وأربعة أيام.

2 2 2 2 2

وسوف يُكشف عن مسياهم وسوف يُعزّون،
وسوف يشاركون ملكهم بالأسرار المبهجة،
وسوف يرفعون الحمد لملكهم؛
وكل الأشرار سوف لن يقوموا في الدينونة.

---

(١١) ربما في ذلك إشارة إلى الحروب بين القوات البيزنطية والعربية، مع أنه لم يسجل اشتباك هام « في سهل عكا ».

(١٢) بحسب المصادر العربية فقد ذبحت حامية غزة بعد الاستيلاء على المدينة، واقتراح كاوفمان بأن هذه العبارة تتضمن استخدام أسلحة حصار يبدو غير محتمل.

(١٣) كانت عسقلون واحدة من المدن الأخيرة في فلسطين التي سقطت أمام العرب. ويقال إن معاوية استولى عليها عام ٦٤٠، مع أنها قد تكون احتلت من قبل عمرو بن العاص لفترة قصيرة في تاريخ أبكر.

(١٤) ربما القدس. والسطور الأخيرى تتضمن مادة إسكاتولوجية مألوفة.



تفسير إضافي

بقلم: نبيل فيّاض

لا داعِ لرمي أيّة صيغ تساؤلية حول المكانة البحثية لشخصية من مستوى برنارد لويس. فالرجل يحتلّ مكانة بارزة وسمعة عالمية في دنيا الاستشراق. لكن، في اعتقادنا، لا يوجد بحث تاريخي متكامل- وكلّما ازداد التاريخ بعداً عن الحاضر ، ازدادت أرجحية عدم تكاملية البحث. بالمقابل، فكلّما ازدادت الوثائق بين أيدي الباحث، اقترب بحثه من الكمال. ونحن نعتقد أنّ ما بين أيدينا من وثائق حول بدايات الإسلام، ربما يكون أكثر مما كان بين يدي برنارد لويس. لذلك فنحن لا نشاطره الرأي في بعض ما توصّل إليه من نتائج، يدعمنا في ذلك آراء مشابهة مستقلة كتلك التي شكّلها بعض الباحثين المعاصرين من أمثال مايكل كوك. وتتركّز اختلافاتنا في مسألتي الملك الأول والملك الثاني المذكورين سابقاً في *صلاة الحاخام شمعون بار يوحاي*.

الملك الأول: البشير والنذير؟

إذا ما جمعنا شواهد من وثائق مختلفة، فسوف نصل إلى نتيجة صريحة مفادها، في اعتقادنا ، أنّ المقصود بالملك الأول في «*الصلاة*» هو نبي الإسلام، محمد. فهنالك نص هام للغاية يدعى عقيدة يعقوب *Doctrini Jacobi*[(١)]، وهو عبارة عن رسالة معادية لليهود سبّبها الإضطهاد الهرقلي، تأخذ شكل حوار بين اليهود عام ٦٣٤؛ وربما أنها كتبت في فلسطين قبل ذلك الموعد أو بعده بقليل[(٢)]. وفي إحدى النقاط من ذلك النص يشار إلى حوادث كانت تجري آنذاك في فلسطين، على شكل رسالة من يهودي فلسطيني، اسمه إبراهيم:

> « لقد ظهر نبيٌ كاذب⁻ بين السرسنيين... إنَّهم يقولون إن النبي الذي ظهر مقبل مع السرسنيين، وهو يعلن عن قدوم advent الممسوح الذي سيأتي tou erkhomenou Eleimmenou kei Khristou ... وأخبرني أولئك الذين التقوه: ليس ثمة حقيقة يمكن أن توجد عند النبي المزعوم سوى إراقة الدماء؛ أمّا ما يقوله حول امتلاكه لمفاتيح الجنة، فهو أمر غير قابل للتصديق ».

ثلاثة أمور جديرة بالاهتمام في النص السابق:

---

(١) تحرير ب. بونفتش Doctrina Jacobi noper baptizati، منشور في: *Abhandlongen der k□niglichen Gesellschaft der Wissenschaft zu G□ttingen*، المجلد xii، برلين ١٩١٠.

(٢) أنظر: F. Nau, “La Didasculie de Jacob” ، في *Patrologia Orientalis*، تحرير ر. غراف وف. ناو، باريس ١٩٠٣، المجلد viii، صص ٧١٥ وما بعد.

⁻ نلاحظ هنا أن اليهود منذ القدم يشيرون إلى نبي الإسلام بالمصطلح « [g`m مجنون » . أنظر مثلاً: *al) hmy`r hml` wrpsb( lw[ rryn`nyf* : *Polemische u. apologetische Literature*، ٣٠٢ - ٣٠٣. أنظر أيضاً: رسالة ابن ميمون إلى اليمن، نيويورك، الأكاديمية الأميركية للبحوث اليهودية، ١٩٥٢، ص xv .

أولاً: واقعة أنّ النبي كان على قيد الحياة حين غزا العرب المسلمون أرض فلسطين - واقعة تجد توثيقاً آخر مستقلاً في التقاليد التاريخية لليعاقبة، النساطرة، والسامريين. إنّ أقدم توثيق لذلك هو توثيق نص *Continuatio Byzantia Arabica* الذي يحفظ لنا في ترجمة لاتينية تاريخاً سريانياً يرجع إلى زمن هشام بن عبد الملك، وربما يكون من أصل يعقوبي أو ملكاني. وهذا المصدر يرى، أنّ السرسنيين غزوا أقاليم سوريا، شبه جزيرة العرب وبلاد مابين النهرين تحت قيادة ماهمت(٣). من الجانب اليعقوبي فإنّ أهمّ شهادة هي الرواية القديمة لأصول الإسلام التي حفظها لنا ميخائيل السرياني(٤)؛ وإلى هذا يمكن أن نضيف مدوّنة سريانية مجهولة المؤلّف تعود إلى القرن الثامن(٥). ويبدو هذا واضحاً من الجانب النسطوري في شاهد متأخر من تاريخ سيئريد Si'ird العربي(٦). لكن تاريخاً سريانياً مكتوباً على الأرجح في حوزستان في العقد السابع من القرن السابع يمّرر على نحو إيحائي ذكر محمد كحاكم للعرب في خضم رواية الفتوحات(٧). أمّا من الجانب السامري، فلدينا شهادة تحرير عربي للتقليد ترجع إلى القرون الوسطى(٨) .

ثانياً: واقعة أنّ النبي كان يبشّر بالممسوح أو المسيح الذي سيأتي. وفي هذا نلمح أحد اشكال المسيانية اليهودية، وهو ما سنعالجه لاحقاً.

ثالثاً: حديث النصّ السابق حول امتلاك النبي لمفاتيح الجنة يدعمه نصّ آخر متضمن في قَسَم بيزنطي بالتنكر للإسلام، يقول:

> « إني ألعن عقيدة السرسنيين السرية ووعد موامد Moamed بأنه سيكون حارس بوابة kleidou khos الجنة »(٩).

كما سبق ورأينا، فإن سفر *أسرار الحاخام شمعون بار يوحاي*، والذي سنسعى إلى ترجمته أيضاً، يقدّم وثيقة تاريخية هامة أخرى حول اعتبار النبي بشير المسيا؛ قد يبدو هذا غريباً بالطبع - أي أن يقبل اليهود بنبي عربي كبشير للمسيا - لكن كانت ثمة سابقة يهودية معروفة حول قيام أحد العرب بمثل هذا الدور(١٠) .

الأسرار، كما تتفق الآراء الآن، يقوم على سفر رؤيوي أقدم منه، كتب مباشرة بعد الحوادث التي يشير إليها، وهو يقدم الغزو العربي الذي أنهى الحكم البيزنطي لفلسطين كحدث إيجابي في الدراما الإسكاتولوجية اليهودية - والموقف ذاته، كما

---

(٣) أنظر: *Chronica Minora*، المجلد ii ، برلين، ١٨٩٤، صص ٣٣٧، تحرير ت. مومسن.

(٤) أنظر: *Chronique de Michel le Syrien*، باريس ١٨٩٩ - ١٨١٠، المجلد الرابع، ص ٤٠٥ = المجلد الثاني، ص ٤٠٣ وما بعد، تحرير ج. ب. شابو.

(٥) أنظر: Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, *Scriptores Syri*, third series, vol. iv. Louvain, 1903 - 7, pp. 348 = 274 .

(٦) أنظر: Histoire nestorienne، الجزء الثاني، في *Patrologia Orientalis*، المجلد xiii، ص ٦٠١، تحرير وترجمة A. Scher.

(٧) أنظر: *Chronica Minora*، صص ٣٠ = ٢٠.

(٨) أنظر: *Abulfathi Annales Samaritani*, Gotha 1863, p. 180، تحرير E. Vilmar.

(٩) E. Montet, Un rituel d'abjuration des Musulmans dans l'églase grecque, *Revue de' l'histoire des Religions*, 1906, p. 151 .

(١٠) أنظر: H. Gressmann, *Der Messias*, G.ttingen, 1929, pp. 449 f .
نلاحظ أيضاً أن إيليا أحياناً كان يظهر بثوب عربي من الصحراء.

رأينا، نلمحه في « *في ذلك اليوم* » أيضاً. أما النص الذي يهمنا من *الأسرار* فهو التالي:

> « حين رأى أنّ مملكة اسمعيل كانت قادمة، شرع يقول: ألم يكف ما فعلته بنا مملكة أدوم الشريرة، حتى تأتينا مملكة اسمعيل أيضاً؟ وللفور أجابه متاترون أمير التشجيع بقوله: لا تخف يابن الإنسان، فالقدّوس المبارك لا يأتي بمملكة إسمعيل إلا لتخلصكم من هذا الشر. إنه بحسب إرادته يقيم عليهم نبياً وسوف يفتح لهم الأرض وسوف يأتون ويحيونها بعظمة، وسيكون هنالك خوف مريع بينهم وبين أبناء عيسو. أجاب الحبر شمعون قائلاً: كيف نعرف أنهم خلاصنا؟ أجاب: ألم يقل النبي إشعياء: « فيرى ركباً، أزواج فرسان، الخ؟ - » لماذا جعل ركّاب الحمير قبل ركّاب الجمال، في حين لم يكن يحتاج إلاّ لأن يقول:ركّاب جمال وركّاب حمير؟ لكن حين يأتي راكب الجمل أولاً فالمملكة سوف تقوم على راكب أحد الحمير. ومن جديد نقول: ركّاب حمير، كونه يركب على حمار، تظهر أنهم خلاص إسرائيل، مثل الخلاص الذي يأتي به الراكب على أحد الحمير[١١] ».

إذاً، *فالأسرار* يقدّم النبي العربي باعتباره بشير المسيا، ويدعم في ذلك وجهة نظر عقيدة يعقوب، الذي يأتي من خلفية عقائدية مختلفة.

إن الحديث عن عمق العلاقة - التعاون بين العرب المسلمين واليهود موجود في مصادر كثيرة. فعقيدة يعقوب يتحدّث مثلاً عن الاختلاط بين اليهود والسرسنيين[١٢]. كذلك فإن مكسيموس المعترف يتحدث في إحدى رسائله عن دور اليهود في ظهور المسيح الدجال[١٣]، وهو ما يوحي أيضاً بمعرفة من الجانب المسيحي بالشخصية المسيانية التي ميزت دخول العرب المسلمين إلى فلسطين. كذلك ففي عقيدة يعقوب نجد أنّ اليهودي الذي اعتنق المسيحية يقول إنه لن ينكر المسيح، ابن الله، حتى لو أمسك به اليهود والسرسنيون وقطعوه إرباً[١٤]. من ناحية أخرى، ففي *تاريخ سيبيوس* الأرمني (٦٢٨ - ٦٦١)، والذي كما يقول، يعتمد على شهادة شهود عيان سجنهم العرب، نجد قصة تبدأ بخروج مزعوم للاجئين اليهود من الرها بعدما استردها هرقل من أيدي الفرس عام ٦٢٨ تقريباً:

> لقد خرجوا من الصحراء وجاءوا إلى جزيرة العرب، عند أبناء اسمعيل. فقد التمسوا العون منهم، وأفهموهم بأنهم أقاربهم بحسب الكتاب

- لابد أن نشير ايضاً إلى ما قاله ابن ميمون في رسالة إلى اليمن حول هذه الآية: « وكذلك اشعياء بين أن الدليل على مجيء المشيح هو قيام المجنون[g`m]، وهو قوله « ركاب حمير وركاب جمال، أزواج فرسان » (٢١: ٧)، يقول إن ركاب حمير الذي هو المشيح كقوله «وضيعاً وراكباً على حمار» (زك ٩:٩) إنما يجيء بعقب ركاب جمال وهو ملك العرب».- النص من ترجمتنا الشخصية لرسالة ابن ميمون.

(١١) نص *الأسرار* الذي لدينا باللغة العبرية، موجود في عمل المحرر أدولف يلنك، بيت *هامدراش*، القسم الثلاث، لايتبسغ، ١٨٥٥، صص ٧٨ - ٨٢.

(١٢) ص ٨٨.

(١٣) أنظر: *PG*, vol. xci, cols. 540f, dated to 634-40 في عمل P. Sherwood: *An Annotated Date-List of the Works of Maximus the Confessor* (= Studia Auselmiana, fasc. xxx) روما ١٩٥٢، صص ٤٠ وما بعد.

(١٤) ص ٨٨.

المقدس، ومع أنهم [الإسماعيليون] على استعداد للقبول بهذه القرابة الحميمة، إلا أنهم [اليهود] لم يستطيعوا إقناع عامة الناس، لأن عباداتهم كانت مختلفة. كان هنالك في ذلك الوقت إسماعيلي إسمه مهميت، وكان يعمل تاجراً؛ وقد قدّم لهم نفسه، وكأن الله أمره بذلك، كبشير، كطريق إلى الحقيقة. وعلّمهم كيف يعرفون إله ابراهيم، لأنه كان مطلعاً على قصة موسى وملمّاً بها للغاية... [وقد قال لهم]: لقد وعد الله بهذه الأرض إبراهيم ونسله من بعده إلى الأبد... أنتم أبناء إبراهيم، وعبركم ينجز الله الوعد... اجتمعوا كلهم... وخرجوا من صحراء فاران مقسّمين إلى إثني عشر سبطاً وفق سلالات أبنائهم... وبين قبائلهم قسّموا الإثني عشر ألف إسرائيلي، ألف ألف لكل قبيلة، وذلك لهدايتهم إلى ارض إسرائيل. وانطلقوا، مخيماً بعد مخيم، وفق نظام آبائهم... وجاء كلّ من بقي من شعوب بني إسرائيل لينضمّ إليهم، حتى شكّلوا جيشاً عظيماً. ثم أرسلوا بسفير إلى إمبراطور الإغريق، ليقول له: لقد أعطى الله هذه الأرض إرثاً لأبينا إبراهيم ولنسله من بعده... تخلّ عنها بسلام...[١٥].

رغم الصعوبات الجغرافية التاريخية التي تواجه نص سيبيوس، إلا أنه يعتبر وثيقة خارجية مؤكّدة لعمق العلاقة بين العرب المسلمين واليهود في بدايات الإسلام - بغض النظر عن إصراره هو الآخر على التوجه المسياني للحركة الإسلامية وتمحورها حول فكرة استرداد أرض الميعاد. وثيقة سيبيوس، تدعمها على نحو مفاجئ وثيقة داخلية معروفة باسم عهد المدينة، حيث يظهر اليهود وكأنّهم يشكّلون أمّة واحدة مع المسلمين رغم احتفاظهم بديانتهم الخاصة. وهم يتوزعون دون اسماء مميزة ضمن عدد من قبائل العرب[١٦].

نشير أخيراً إلى رواية تقول إنّ قديساً مسيحياً هارباً من الاحتلال الفارسي للقدس، أحاق به مرات عديدة خطر الأسر على يد «السرسنيين والعبرانيين»[١٧].

هل كان الفاروق هو المسّيا؟

بادئ ذي بدء نذكر أنّنا نخالف برنارد لويس الرأي بشأن الملك الثاني المذكور في النصوص السابقة، والذي يحمل سمة مسيانية يهودية فعلية، والذي نعتقد أنّه كان الفاروق - عمر بن الخطاب. يشاركنا في هذا الرأي الباحثان مايكل كوك وباتريشيا كرونه إضافة إلى *الموسوعة اليهودية*. وسنورد أولاً النصوص المتعلقة بالمسألة في المصادر الداخلية ثم الخارجية، لنناقش أخيراً النصوص بالتفصيل- **ونكتفي من المصادر الداخلية بالطبري**[١٨].

---

(١٥) سيبيوس، *تاريخ*، صص ٩٤ - ٩٦. أنظر: *Patmout'ium Sebeosi Episkoposi i Heraklen*, St. Petresberg 1879, p. 111، تحرير ك. ر. باتكانيان.

(١٦) أنظر: محمد بن اسحق، سيرة *سيدنا محمد رسول الله*، تحرير ف. فوستنفلد، غوتنغن ١٩٥٨، صص ٣٤٢ وما بعد؛ أبو عبيد، كتاب الأموال، رقم ٥١٧.

(١٧) أنظر: C. Howze (ed. and tr.), Sancti Georgii Chozebitae Confessoris et vita, *Analcta Bollandiana*, p. 134 .

(١٨) الطبري، *تاريخ*، دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

بالنسبة للتسمية « فاروق⁻»، يقول الطبري (٤: ١٩٥ - ١٩٦): « اختلف السلف فيمن سمّاه بذلك، فقال بعضهم: سمّاه بذلك رسول الله (ص)؛ وقال بعضهم [الآخر]: أوّل من سماه بهذا الاسم أهل الكتاب. قال ابن شهاب: بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أوّل من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم؛ ولم يبلغنا أنّ رسول الله (ص) ذكر من ذلك شيئاً ».

وفي « ذكر فتح بيت المقدس »، يقول الطبري (٣: ٦٠٧): « لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال السلام عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء [القدس]، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء... وشهد ذلك اليهودي الصلح [مع أهل القدس] ».

ينسب الطبري إلى كعب الأحبار قوله لعمر (٣: ٦١١)، إنّ الله أرسل نبياً إلى القدس يقول لها: « أبشري أوري شلم! عليك الفاروق ينقيك مما فيك ».

فاروق، على الأرجح، من « فرق qrp »، والتي تعني: أنقذ، أعتق، حرر، خلص[١٩]. وحين يحتفظ لنا التقليد الإسلامي بهذا اللقب فهو إذاً يكرّس السمة المسيانية لعمر، عبر لقبه الذي يعني المخلّص[٢٠]. ودخول ابن الخطاب إلى القدس هو أداء مناسب لهذا الدور. والطبري يذكر أن عمر، في زيارته الرابعة لسوريا، دخلها راكباً على حمار[٢١].

إذاً، فالتقليد الإسلامي ذاته يوضح الشخصية المسيانية لعمر من وجهة نظر اليهود: فكعب الأحبار يطبّق على عمر في القدس إحدى النبوءات المسيانية؛ ويهودي آخر يحيي عمر باعتباره الفاروق الذي سيخلّص القدس.

من جهة أخرى، فإن مصدراً خارجياً هو عقيدة يعقوب، يشهد على حرارة ردّة الفعل اليهودية على دخول العرب لفلسطين[٢٢]. كذلك يقول مصدر أرمني قديم، إنّ حاكم القدس في أعقاب دخول العرب إليها، كان يهودياً[٢٣].

وهكذا، فنحن نعتقد أنّ « فاروق - مخلّص » هو لقب مسياني أطلقه اليهود على عمر بن الخطاب. وبعد انتهاء شهر العسل الإسلامي اليهودي بعد الإستيلاء العربي على القدس وإحباطهم لآمال اليهود المسيانية، أعطي اللقب مضموناً آخر ولم يكن صعباً أن يعزى المضمون الجديد إلى النبي في محاولة لدعمه. لكن لم يكن سهلاً إسقاط المضمون الأصلي، فاحتفظت التقاليد الإسلامية، بنوع من التناقض، بالمضمونين على حد سواء، وإن كان بعضها مال إلى ترجيح كفة المضمون الأصلي على ذلك الذي قد يكون مختلقاً.

بالنسبة لفتح القدس، يقول الطبري (٣:٦١١)، من المصادر الداخلية:

« لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، قال: إرقبوا لي كعباً!... ثم قصد المحراب، محراب داود (ع)... فصلّى فيه... ولم يلبس أن طلع

⁻ نلاحظ بالمناسبة أن النساطرة ما يزالون حتى الآن يستخدمون مصطلح « ايشا فاروقا » - يسوع مخلص.

(١٩) ي. قوجمان، معجم عبري عربي، دار الجيل، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٧٤٣.

(٢٠) أنظر: J. Levy, *Neuhebr ׂischesund chald ׂisches W□terbuch über die Talmudim und Midraschim*, Leipzig, 1876 .

(٢١) *الطبري*، طبعة لايدن ١٨٧٩ - ١٩٠١، ٧: ٢٤٠١، تحقيق M. J. de Goeje.

(٢٢) ص. ٨٦.

(٢٣) أنظر الهامش ١٥.

الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم فصلّى بالناس، وقرأ بهم ص وسجد فيها، ثم قام، وقرأ بهم في الثانية صدر بني إسرائيل... ثم... قال: عليّ بكعب، فأتي به، فقال: أين ترى نجعل المصلى؟ فقال: إلى الصخرة، فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب... بل نجعل قبلته صدره.

ثم قام من مصلاه إلى كناسة كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل، فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركوا سائرها، وقال: يا أيها الناس، إصنعوا كما أصنع، وجثا في أصلها، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع التكبير من خلفه، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره، فقال: عليّ به، فأتي به فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمئة سنة، فقال: وكيف؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم، فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليتَ، فبعث الله نبياً على الكناسة، فقال: أبشري أوري شلم، عليك الفاروق ينقيك مما فيك...

وعن ربيعة الشامي بمثله؛ وزاد: أتاكِ الفاروق في جندي المطيع، ويدركون لأهلك بثأرك من الروم ».

وعن أبي مريم: « شهدت فتح إيلياء مع عمر... فسار... ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود؛ ونحن معه، فدخله، ثم قرأ سجدة داود، فسجد وسجدنا معه ».

من ناحية أخرى، يقول مرجع يهودي من القرن الحادي عشر، إنّه كان ثمة يهود مع الغزاة الإسماعيليين، وهم الذين أظهروا لهم الحرم وأقاموا معهم بعد ذلك[٢٤].

من المراجع الحديثة، تذكر *الموسوعة اليهودية*[٢٥] ، النسخة الإنكليزية، أنّ كعباً « كان أحد أتباع عمر حين دخل الأخير القدس، وبناء على طلبه، حدّد له [كعب] الموضع الذي كان الهيكل مبنياً عليه. وبحسب التقاليد، فقد حاول المسيحيون إخفاءه عن الفاتحين... وعندما كشف عن هذا الموقع، حاول كعب حثّ عمر على بناء المسجد (مسجد عمر) شمال الصخرة، بحيث توجّه القبلة إليها [في الصلاة] بدل مكّة. لكن عمر رفض هذا الاقتراح، معتبراً أنه موحى بميول يهودية». وتضيف في موقع آخر[٢٦] : « صلّى الخليفة عمر بن الخطاب على جبل الهيكل بعد فتح القدس عام ٦٣٨، بصحبة اليهودي اليمني المرتدّ كعب الأحبار ». وفي موضع ثالث[٢٧] ، تقول: «يقال إنّ يهودياً اعتنق الإسلام، هو كعب الأحبار، والذي كان أحد أفراد عمر وقت دخوله القدس، دلّ عمر على مكان الصخرة (الإفن شتياه)، على جبل الهيكل ». و « عام ٧٠٠، بنى عبد الملك [بن مروان] المسجد الأقصى في المكان حيث يفترض أن عمر صلّى[٢٨]».

نعود الآن إلى نص الطبري لنلقي بعض الأضواء والأسئلة:

---

(٢٤) J. Mann, *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs*, vol i, Oxford 1920.

(٢٥) *Encyclopadia Judaica*, Fourth Print, 1978, Keter Publishing House, Jerusalem, 10: 488.

(٢٦) ١٠: ٩٨٨.

(٢٧) ١٢: ١٣٨٢.

(٢٨) ١٥: ٩٨٨.

يقال إنّ عمر دنا من باب المسجد - فأيّ مسجد ذاك الذي كان في القدس قبل الإسلام، إلّا إذا اعتبرنا أن أيّ مكان يُسجد فيه لله يعتبر مسجداً؟ مع ملاحظة أنّه في زمن النبي، كما يقول هوروفيتس وكيتاني، كان مشاداً هناك بازيليكا [كنيسة] يوستنيانوس[(٢٩)] .

لكن ما هو المحراب، محراب داود؟

للإجابة على هذا السؤال نقول، إنّ هيكل سليمان المفترض، أشيد « فوق جبل مورية في القدس، عند بيدر أرونة اليبوسي حيث بنى داود مذبحاً للرب (٢صم ٢٤: ١٨ - ٢٥) »[(٣٠)] . محراب هو « مؤخر الهيكل أو قدس الأقداس. هذه الكلمة ترجمة للكلمة العبرية « دبير » التي تعني مؤخر وقد وردت هذه الكلمة في الترجمة العربية في ١ مل ٦: ٥ و١٩ و٨: ٦ ومز ٢٨: ٢ »[(٣١)] . إذاً، فقد صلّى عمر بن الخطاب، على الأرجح، في « الدفير rybd » أو قدس الأقداس، أو ما يعرف الآن بالصخرة - بالعبرية ba@ `hyt أو حجر الأساس. واليهود يعتقدون أن الصخرة متوضعة « في قدس أقداس الهيكل في القدس»[(٣٢)] .

لكن ما هو مضمون السورتين اللتين قرأهما عمر بن الخطاب في قدس الأقداس أو الدفير؟

يقول الطبري - وربما هذا مبالغ به - إنّه قرأ بالناس سورة «ص». ومنها نورد المقاطع التالية:

« واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب... يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض... ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب... واذكر عبدنا أيوب... واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب... وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار...».

كذلك يخبرنا الطبري أنّ عمر قرأ صدر بني إسرائيل - أي، سورة الإسراء. فماذا يقول ذلك الصدر:

«... وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل... ذرية من حملنا مع نوح... وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدّن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار... ثم رددّنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها... ».

يخبرنا الطبري إن عمر « قام من مصلاه إلى كناسة [زبالة] كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ». وإذا ما أضفنا إلى ذلك ما تخبرنا به « *الموسوعة اليهودية* »[(٣٣)] من أنّ كعب الأحبار بعد أن دلّ عمر على مكان الصخرة على جبل الهيكل، « أمر عمر بتنظيف الصخرة واستخدم المكان كموضع للصلاة... وتقول بعض المصادر

---

(٢٩) *Der Islam*, ix, 162; Annali 21, § 88 .

(٣٠) *قاموس الكتاب المقدس*، تحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، ابراهيم مطر، منشورات مكتبة الشعلة، بيروت، ط٩، ١٩٨١، صص ١١١٢ - ١١١٣ .

(٣١) *المصدر السابق*، ص ٢٩٧.

(٣٢) *Encyclopadia Judaica*, 6: 985.

(٣٣) ١٢: ١٣٨٢.

المسيحية والعربية إنّ أحد شروط المسيحيين سكان القدس للاستسلام لعمر كان تحريم إقامة اليهود في القدس... وسمح عمر لليهود بأن يعيدوا بناء حضورهم في القدس - بعد حقبة خمسمئة سنة - ويبدو أنّه خصص لهم مكاناً للصلاة على جبل الهيكل (والذي طردوا منه في زمن لاحق). والتقليد اليهودي يعتبر عمر حاكماً خيراً، والمدراش (*نستاروت [أسرار] دراف شمعون بار يوحاي*) يشير إليه بصديق إسرائيل »[٣٤].

ويخبرنا الطبري أيضاً (٣: ٦٠١) أنّ نصّ الصلح بين عمر وأهل القدس المسيحيين تضمّن عبارة « ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ». ونحن نعرف من المصادر المسيحية أن تيطس الروماني دمّر مدينة القدس وأحرق الهيكل وباع شعبها في السبي عام ٧٠. ولما جاء أدريانوس بعده، ورأى أنّ القدس كانت « لا تزال خراباً منذ أن دمرها تيطس، أمر بتخطيطها تخطيطاً رومانياً وأطلق عليها اسم Aelia Capitoliono وقضت سياسته الداخلية بتوحيد الإمبراطورية وتمكين الروابط بين شعوبها المتباينة فأوجب إنشاء هيكل لزفس على أنقاض هيكل يهوه » [٣٥]. وهذا كلّه كان عام ١٣٢.

إذا جمعنا معلومات المصادر اليهودية، المسيحية، والإسلامية، يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

دمّر تيطس الروماني القدس عام ٧٠؛ وعام ١٣٢ أعاد أدريانوس بناء المدينة بعد أن نزع عنها كل صبغة يهودية: حوّل إسمها إلى إيليا كابيتوليونو - ومنه جاءت التسمية إيلياء؛ أشاد هيكلاً وثنياً على أنقاض هيكل سليمان؛ ويبدو أنّه قضى على أي وجود يهودي في المدينة، لأنّ *الموسوعة اليهودية* تذكر أنّ عمر بن الخطاب أعاد الحضور اليهودي إلى القدس بعد خمسمئة سنة من الطرد (نلاحظ أن ما فعله أدريانوس كان عام ١٣٢ ودخول عمر بن الخطاب المدينة كان عام ٦٣٨)، بل يبدو أنّ سكنهم كأفراد في المدينة كان محظوراً من قبل المسيحيين، فنصّ معاهدة تسليم المسيحيين القدس لعمر بن الخطاب تضمّن عبارة « ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود » - كما لاحظنا سابقاً.

لقد عرف سكان القدس المسيحيون المكانة المفرطة القداسة للصخرة عند اليهود، فجعلوها مكبّ نفاياتهم (كناسة)، ولما دخل عمر بن الخطاب القدس، جاء إليهم « فأبرزوا بعضها وتركوا سائرها. لكنّ عمر « أمر بتنظيف الصخرة واستخدم المكان كموضع للصلاة ». وبما أنّه لا يوجد في القرآن أدنى إشارة إلى الصخرة أو إلى قداستها، فاعتقادنا أنّ كعب الأحبار - ربما غيره أيضاً - هو الذي أقنع عمر بن الخطاب بذلك وأدّى به إلى تلك التصرفات. نلاحظ أيضاً أنّ سالمون بن يهورام في تفسيره للمزمور ٣٠: ١٠ يقول، إنّ عمر بن عبد العزيز هو الذي أبعد اليهود عن

---

(٣٤) النص الأصلي يقول: lar`y bhwa وتعني « عاشق إسرائيل أو صديق إسرائيل... الخ ».

(٣٥) أسد رستم، كنيسة مدينة الله *أنطاكية العظمى*، منشورات دار النور، دون تاريخ، ١: ٦١.

الصلاة في جبل الهيكل[٣٦] - هذا يعني استخدامهم الديني لجبل الهيكل حقبة لا بأس بها. وربما يكون عمر بن الخطاب هو أوّل من سمح لهم بذلك.

لقد نظرت المصادر اليهودية الأولى إلى أعمال البناء العربية على جبل الهيكل باعتبارها ترميماً لهيكل سليمان. و*الأسرار* يشير، كما رأينا، إلى ترميم صدوع إسرائيل وصدوع هيكلها. وهنالك نبوءة تنسب إلى شنوتي حول مجيئ بني إسرائيل وعيسو الذين ستبني بقية منهم الهيكل في القدس[٣٧].

لكن ما هي حقيقة المسجد الذي بني على جبل الهيكل؟ يخبرنا مدراش يهودي أنّ معاوية « بنى مسجداً خشبياً على جبل الهيكل»[٣٨]. ونجد توثيقاً مستقلاً لهذا القول في نص مسيحي يُزعم فيه أن حاجاً اسمه أركولف رأى في موضع الهيكل عام ٦٧٠ مبنىً خشبياً[٣٩]. كذلك *فالأسرار* يقول إنّ الملك الثاني من اسمعيل « يبني مسجداً هناك على صخرة الأساس hyt` @ba l[ hywjt`h !` @l hnwbw » - مع ملاحظة أن هشتحوايا hywjt`h العبرية تعني حرفياً «مسجداً ». - فكيف يمكن حلّ هذا اللغز؟

إنّ اعتقاد برنارد لويس أنّ المقصود بالملك الثاني من إسمعيل معاوية - أو خلط بين عمر ومعاوية - لا يخلو، برأينا، من بعض الالتباس. فمعاوية من ناحية - وهو بالمناسبة شخصية وصولية لا علاقة لها بالعقائد أو المبادئ - تقرّب من المسيحيين في محاولة لدعم حكمه المواجه بتحديات داخلية إسلامية كبيرة. فمن المعروف عموماً، أنّ معاوية أعلن خليفة في القدس عام ٦٦٠[٤٠]، قبل مقتل الخليفة الشرعي، عليّ بن أبي طالب، عام ٦٦١. والقدس كانت آنذاك إحدى الحواضر المسيحية الهامة. بل قبل إعلانه خليفة بعام، أي عام ٦٥٩، يخبرنا تاريخ ماروني قديم، أنّ معاوية ذهب إلى القدس، وبدأ فيها الصلاة في الجلجلة، فالجثمانية، وقبر العذراء - وفي ذلك موافقة مسلكية على موت يسوع الخلاصي[٤١].

من ناحية أخرى، *فالموسوعة اليهودية*، كما لاحظنا وأشرنا، تقول دون أدنى تردد، إنّ المقصود بالملك الثاني من اسمعيل، حبيب (أو صديق) إسرائيل، هو عمر بن الخطاب. بل إنّ المصادر اليهودية القديمة تجعل عمر بن الخطاب يتزوج وأحد كبار رجالات يهود الشتات من أختين فارسيتين من السلالة الملكية. فيقال إنّ عمر بن الخطاب اقر ببستناي بن حنانيا (٦١٨ - ٦٧٠)، بعد دخول العرب العراق، كجالوت لليهود في بابل، « وأعطاه أزدونداد إحدى بنات الملك أحشورش الثاني الأسيرات،

---

(٣٦) *Encyclopadia Judaica*, 15: 1529 .

(٣٧) E. Amelineay, *Monuments pour servir ل l'histoire de l'Egypte chrétienne aux IV et V siècles (= Memoires publiés par les membres de la Mission Archéologique Française au Caire*, vol. iv), Paris, p. 341.

(٣٨) Wetheimer, *Battei Midrashot* (1894), 30

(٣٩) Relatio de locis sanctis in T. Tobler and A. Molinier (eds), *Itinera Hierosolgmitana et deseri ptiones Terra Sanctae*, Geneva 1879, p. 145 .

(٤٠) *Encyclopadia Judaica* 15: 1510 .

(٤١) *Chronica Minora*, pp. 71 - 55

ملك فارس، في حين تزوج الخليفة ذاته من أختها، وأقر بالتالي واقعياً اعتبار بستناي كأحد خلفاء ملوك فارس »[٤٢].

إذاً، ففي اعتقادنا أنّ عمر بن الخطاب كان أمل اليهود - المسّيا - بالخلاص. وهو الذي لن « يجعل إسرائيل بعد الآن بعيدة عن بيت الصلاة »، كما تقول قصيدة في *ذلك اليوم*. ويبدو أنّ اليهود اعتقدوا أنّ المسلمين سيساعدونهم على استرداد الهيكل. لكن كما يقول سيبيوس الأرمني في *تاريخه*[٤٣]، فإنّ هذه الخطة أحبطت حين بنى العرب عوضاً عن ذلك مصلى خاصاً بهم. يدعم ذلك مصدر داخلي، كالطبري، حين يشير إلى الجدل بين عمر وكعب الأحبار حول مسألة القبلة: أراد اليهودي تحويلها إلى الصخرة، في حين أصرّ عمر على القبلة الإسلامية التقليدية. لكن هذا لا يمنع أن يكون الخليفة خصص لليهود مكاناً ما في مصلاه، يؤدون فيه طقوسهم. وربما يكون عمر بنى مصلى وجاء بعده معاوية ليقيم مسجداً في الموقع ذاته: خاصة وأنّ الاسم التقليدي المتداول حتى الآن للمكان هو « مسجد عمر ».

أخيراً، فإنّ عمر بن الخطاب الذي رأى فيه اليهود، وهو في طريقه لتخليص القدس من الروم، مسّيا منتظراً، أحبط آمالهم المسيانية بعد ذلك حين رفض إعادة الهيكل إلى وضعه السابق. - فهل يمكن لهذا أن يساعدنا في فهم عملية اغتيال الخليفة، خاصة وإن إصبع كعب الأحبار غير محط التباس في القضية؟!

---

(٤٢) *Encyclopadia Judaica*, 4: 1537.

(٤٣) *تاريخ*، صص ١٠٢ وما بعد.

ملحق

كتابه صلّى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وموادعة يهود

قال ابن اسحاق: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادعَ فيه يهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:
بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعَتهم يتعاقلون، بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النجَّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النَّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وإن المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِداء أو عقل.

قال ابن هشام: المُفْرَح: المُثقل بالدَّين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدّي أمانة　　وتحملُ أخرى أفرحتك الودائعُ؛

وأن لا يخالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظُلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولدَ أحدهم؛ ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن؛ وإن ذمة الله واحدة، يُجير عليهم أدناهم؛ وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تَبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإنَّ سِلْم المؤمنين واحدة، لا يسالهم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم؛ وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضاً؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيِّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى وليّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن

ينصر مُحدثاً ولا يُؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردّه إلى الله عز وجل، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يهود بني عَوف أُمَّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بني النجَّار مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف؛ إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإن لبني الشُّطبية مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن البر دون الإثم؛ وإن موالي ثعلبة كأنفسهم؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرْح؛ وإنه من فَتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظَلم؛ وإن الله على أبر هذا؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإن بينهم النصرَ على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه؛ وإن النصر للمظلوم؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم؛ وإنه لا تُجار حُرمة إلا بإذن أهلها؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُه، فإنَّ مردّه إلى الله عز وجلّ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه؛ وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها؛ وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب، وإذا دُعوا إلى مثل ذلك يصالحونه ويَلبسونه، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم؛ وإن يهود الأوس، مواليَهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. مع البر المحض؟ من أهل هذه الصحيفة[-] .

[-] النص من *السيرة النبوية* لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها:مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ الشلبي، القسم الاول، ص ص١٠٥ ومابعد.

الفهرس